

بطنه فاستسقى بطنه فمات منه ، ومر به الوليد بن المغيرة فأشار إلى أثر جرح بأسفل كعب رجله وكان أصابه قبل ذلك  
سمين وهو يجر إزاره وذلك أنه مر برجل من خزاعة يريش نلاله فتعلق سهم من نبله بأزاره فخدش رجله ذلك الخدش  
وليس بشيء فاتقض به فقتله ومر به العاص بن وائل فأشار إلى أخصم قدمه فخرج على حمار له يريد الطائف فربض على  
شبرقة فدخلت في أخصم قدمه فقتلته ومر به الحارث بن الطلائع فأشار إلى رأسه فامتخط قيحا فقتله ، قال محمد بن  
إسحق حدثني محمد بن أبي محمد عن رجل عن ابن عباس قال كان رأسهم الوليد بن المغيرة وهو الذي جمعهم وهكذا روى  
عن سعيد بن جبير وعكرمة نحو سياق محمد بن إسحاق به عن يزيد عن عروة بطوله إلا أن سعيدا يقول الحارث بن غيظة  
وعكرمة يقول الحارث بن قيس قال الزهري وصدقا هو الحارث بن قيس وأمه غيظة وكذا روى عن مجاهد ومقسم  
وقادة وغير واحد أنهم كانوا خمسة وقال الشعبي كانوا سبعة والمشهور الأول وقوله (الذين يجعلون مع الله إلها آخر  
فسوف يعلمون) تهديد شديد ووعيد أكيد لمن جعل مع الله معبوداً آخر وقوله (ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما  
يقولون فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين) أي وإنا لنعلم يا محمد أنك يحصل لك من أذاهم لك ضيق صدروا تقاض  
فلا يهيدنك ذلك ولا يشيننك عن إبلاغك رسالة الله وتوكل عليه فانه كافيك وناصرك عليهم فاشتغل بذكر الله ونحميده  
وتسبيحه وعبادته التي هي الصلاة . ولهذا قال (فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين) كما جاء في الحديث الذي رواه  
الإمام أحمد حدثنا عبد الرحمن بن مهدي حدثنا معاوية بن صالح عن أبي الزاهرية عن كثير بن مرة عن نعيم بن عمار أنه  
سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « قال الله تعالى يا ابن آدم لا تعجز عن أربع ركعات من أول النهار أ كففك  
آخره » ورواه أبو داود والنسائي من حديث مكحول عن كثير بن مرة بنحوه ولهذا كان رسول الله ﷺ  
إذا حزبه أمر صلى ، وقوله (واعبد ربك حتى يأتيك اليقين) قال البخاري قال سالم الموت وسالم هذا هو سالم بن  
عبد الله بن عمر كما قال ابن جرير حدثنا محمد بن بشار حدثنا يحيى بن سعيد عن سفيان حدثنا طارق بن عبد الرحمن عن  
سالم بن عبد الله (واعبد ربك حتى يأتيك اليقين) قال الموت وهكذا قال مجاهد والحسن وقادة وعبد الرحمن بن زيد بن  
أسلم وغيره والدليل على ذلك قوله تعالى إخباراً عن أهل النار أنهم قالوا (لم نك من المصلين) \* ولم نك نطعم المسكين \*  
وكنا نحوض مع الخائضين \* وكنا نكذب بيوم الدين \* حتى أتانا اليقين) وفي الصحيح من حديث الزهري عن  
خارجة بن زيد بن ثابت عن أم العلاء امرأة من الأنصار أن رسول الله ﷺ لما دخل على عثمان بن مظعون وقد  
مات قالت أم العلاء رحمة الله عليك أبا السائب فشهداتي عليك لقد أكرمك الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم  
« وما يدريك أن الله أكرمك : » فقلت بأبي وأمي يا رسول الله فمن ؟ فقال « أما هو فقد جاءه اليقين وإني  
لأرجوه الخير » ويستدل بهذه الآية الكريمة وهي قوله (واعبد ربك حتى يأتيك اليقين) على أن العبادة كالصلاة  
ونحوها واجبة على الإنسان مادام عقله ثابتاً فيصلى بحسب حاله كما ثبت في صحيح البخاري عن عمران بن حصين رضي  
الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال « صل قائماً فإن لم تستطع فقاعداً فإن لم تستطع فعلى جنب » ويستدل  
بها على نخطئة من ذهب من الملاحدة إلى أن المراد باليقين المعرفة فمتى وصل أحدهم إلى المعرفة سقط عنه التكليف  
عندهم وهذا كفر وضلال وجهل فإن الأنبياء عليهم السلام كانوا هم وأصحابهم أعلم الناس بالله وأعرفهم بحقوقه  
وصفاته وما يستحق من التعظيم وكانوا مع هذا أعبد وأكثر الناس عبادة ومواظبة على فعل الخيرات إلى حين الوفاة ،  
وإنما المراد باليقين ههنا الموت كما قد مناه الله والحمد لله والمنه والحمد لله على الهداية وعليه الاستعانة والتوكل وهو المستول أن  
يتوفانا على أكمل الأحوال وأحسنها فانه جواد كريم. آخر تفسير سورة الحجر والحمد لله رب العالمين .

### ( تفسير سورة النحل وهي مكية )

( بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ )

( أَيْ أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ )

يخبر تعالى عن اقتراب الساعة ودنوها معبراً بصيغة الماضي الدال على التحقق والوقوع لا محالة كقوله ( اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون ) وقال ( اقتربت الساعة وانشق القمر ) وقوله ( فلا تستعجلوه ) أى قرب متابعد فلا تستعجلوه يحتمل أن يعود الضمير على الله ، ويحتمل أن يعود على العذاب وكلاهما متساوياً كما قال تعالى ( ويستعجلونك بالعذاب ولولا أجل مسمى لجاءهم العذاب وليأتينهم بغتة وهم لا يشعرون \* يستعجلونك بالعذاب وإن جهنم لمحيطة بالكافرين ) وقد ذهب الضحاك في تفسير هذه الآية إلى قول عجيب فقال في قوله ( أتى أمر الله ) أى فرائضه وحدوده وقدره ابن جرير فقال : لانعلم أحداً استعجل بالفرائض وبالشرائع قبل وجودها بخلاف العذاب فانهم استعجلوه قبل كونه استبعاداً وتكديباً ، قلت كما قال تعالى ( يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها ، والذين آمنوا مشفقون منها ويعلمون أنها الحق ، ألا إن الذين يمارون في الساعة لفي ضلال بعيد )

وقال ابن أبي حاتم ذكر عن يحيى بن آدم عن أبي بكر بن عياش عن محمد بن عبد الله مولى الغيرة بن شعبة عن كعب بن علقمة عن عبد الرحمن بن حنبل عن عقبة بن عامر قال : قال رسول الله ﷺ « تطلع عليكم عند الساعة سحابة سوداء من المغرب مثل الترس ، فأتزال ترتفع في السماء ثم ينادى مناد فيها : يا أيها الناس فيقبل الناس بعضهم على بعض : هل سمعتم ، فمنهم من يقول نعم ومنهم من يشك ، ثم ينادى الثانية يا أيها الناس فيقول الناس بعضهم لبعض : هل سمعتم ، فيقولون نعم ، ثم ينادى الثالثة يا أيها الناس أتى أمر الله فلا تستعجلوه » قال رسول الله ﷺ « فوالذي نفسي بيده إن الرجلين ليشران الثوب فما يطويانه أبداً ، وإن الرجل ليمدح حوضه فما يسقى فيه شيئاً أبداً ، وإن الرجل ليلعب ناقته فما يشره أبداً - قال - ويشغل الناس » ثم إنه تعالى نزه نفسه عن شركهم به غيره وعبادتهم معه ماسواه من الأوثان والأنداد ، تعالى وتقدس علواً كبيراً ، وهؤلاء هم المكذبون بالساعة فقال ( سبحانه وتعالى عما يشركون )

﴿ يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ ﴾

يقول تعالى ( ينزل الملائكة بالروح ) أى الوحي كقوله ( وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نوراً نهدى به من نشاء من عبادنا ) وقوله ( على من يشاء من عباده ) وهم الأنبياء كما قال تعالى ( الله أعلم حيث يجعل رسالته ) وقال ( الله يصطفى من الملائكة رسلاً ومن الناس ) وقال ( يلقى الروح من أمره على من يشاء من عباده لينذر يوم التلاق \* يومهم بارزون لا يخفى على الله منهم شيء لمن الملك اليوم ، لله الواحد القهار ) وقوله ( أن أنذروا ) أى لينذروا ( أنه لا إله إلا أنا فاتقون ) أى فاتقوا عقوبتي لمن خالف أمرى وعبد غيرى ﴿ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ تَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ \* خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ ﴾

يخبر تعالى عن خلقه العالم العلوي وهو السموات والعالم السفلي وهو الأرض بما حوت ، وأن ذلك مخلوق بالحق لا للبعث بل ( ليجزى الدين أساءوا بما عملوا ويجزى الدين أحسنوا بالحسنى ) ثم نزه نفسه عن شرك من عبد معه غيره وهو المستقل بالخلق وحده لا شريك له ، فلماذا يستحق أن يعبد وحده لا شريك له ، ثم نه على خلق جنس الانسان من نطفة أى مهينة ضعيفة ، فلما استقل ودرج إذا هو يخاصم ربه تعالى ويكذبه ويحارب رسله وهو إنما خلق ليكون عبداً لا ضداً كقوله تعالى ( وهو الذي خلق من الماء بشراً فجعله نسباً وصهراً وكان ربك قديراً \* ويعبدون من دون الله مالا ينفعهم ولا يضرهم وكان الكافر على ربه ظهيراً ) وقوله ( أولم ير الإنسان أنا خلقناه من نطفة فإذا هو خصيم مبين \* وضرب لنا مثلا ونسى خلقه قال من يحيى العظام وهى رميم \* قل يحيىها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم ) وفي الحديث الذى رواه الإمام أحمد وابن ماجه عن بشر بن جحاش قال بصق رسول الله ﷺ في كفه ثم قال « يقول الله تعالى ابن آدم : أتى تعجزنى وقد خلقتك من مثل هذه حتى إذا سويتك فعدلتك مشيت بين برديك والأرض منك وتيد فجمعت ومنعت حتى إذا بلغت الخلقوم قلت أتصدق ، وأنى أوان الصدقة ؟ »

﴿ وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنْفَعٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ \* وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ

تَسْرَحُونَ \* وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾  
 يمتن تعالى على عباده بما خلق لهم من الأنعام وهي الإبل والبقر والغنم كإفصلها في سورة الأنعام إلى ثمانية أزواج ،  
 وبما جعل لهم فيها من المصالح والمنافع من أصوافها وأوبارها وأشعارها يلبسون ويفترشون ومن ألبانها يشربون  
 ويأكلون من أولادها وما لهم فيها من الجمال وهو الزينة ولهذا قال (ولم فيها جمال حين تريحون) وهو وقت رجوعها  
 عشياً من المرعى فأنها تكون أمدته خواصر وأعظمه ضروعاً وأعلاه أسنمة (وحيث تسرحون) أي غدوة حين تبعثونها  
 إلى المرعى (وتحمل أثقالكم) وهي الأحمال الثقيلة التي تعجزون عن نقلها وحملها (إلى بلد لم تكونوا بالغيه إلا بشق  
 الأنفس) وذلك في الحج والعمرة والغزو والتجارة وما جرى مجرى ذلك تستعملونها في أنواع الاستعمال من ركوب  
 وتحميل كقوله (وإن لكم في الأنعام لعبرة نسقيكم مما في بطونها ولكم فيها منافع كثيرة ومنها تأكلون وعليها وعلى الفلك  
 تحملون) وقال تعالى (الله الذي جعل لكم الأنعام لتركبوا منها ومنها تأكلون) \* ولكم فيها منافع وتلبغوا عليها حاجة  
 في صدوركم وعليها وعلى الفلك تحملون \* ويريكم آياته فأى آيات الله تنكرون ،) ولهذا قال ههنا بعد تعداد هذه النعم (إن  
 ربكم لرءوف رحيم) أي ربكم الذي يقض لكم هذه الأنعام وسخرها لكم كقوله (أولم يروا أننا خلقنا لهم مما عملت أيدينا  
 أنعاماً فهم لها مالكون \* وذللناها لهم فمنها ركوبهم ومنها يأكلون) وقال (وجعل لكم من الفلك والأنعام ما تركبون \*  
 لتستروا على ظهوره ثم تذكروا نعمة ربكم إذا استويتم عليه وتقولوا سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين \*  
 وإنا إلى ربنا لمنقلبون) قال ابن عباس (لكم فيها دفاء) أي ثياب (ومنافع) ما تنتفعون به من الأطعمة والأشربة ، وقال  
 عبد الرزاق أخبرنا إسرائيل عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس : دفاء ومنافع يقول لكم فيها لباس ومنفعة وبلغة وكذا قال غير  
 أي لباس ينسج ومنافع مركب ولحم ولبن ، وقال قتادة : دفاء ومنافع يقول لكم فيها لباس ومنفعة وبلغة وكذا قال غير  
 واحد من المفسرين بألفاظ متقاربة

﴿ وَالْحَيْلِ وَالْبِغَالِ وَالْأَحْمِيرِ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾

هذا صنف آخر مما خلق تبارك وتعالى لعباده يمتن به عليهم وهو الخيل والبغال والحمير التي جعلها للركوب والزينة  
 بها وذلك أكبر المقاصد منها ، ولما فصلها من الأنعام وأفردها بالذكر استدلت من استدلت من العلماء ممن ذهب إلى تحريم  
 لحوم الخيل بذلك على ما ذهب إليه فيها كالإمام أبي حنيفة رحمه الله ومن وافقه من الفقهاء بأنه تعالى قرنها بالبغال والحمير  
 وهي حرام كما ثبتت به السنة النبوية وذهب إليه أكثر العلماء ، وقد روى الإمام أبو جعفر بن جرير حدثني يعقوب حدثنا  
 ابن علية أنبأنا هشام الدستوائي حدثنا يحيى بن أبي كثير عن مولى نافع بن علقمة عن ابن عباس أنه كان يكره لحوم الخيل  
 والبغال والحمير وكان يقول قال الله تعالى (والأنعام خلقها لكم فيها دفاء ومنافع ومنها تأكلون) فهذه للأكل (والخيل  
 والبغال والحمير لتركبوها) فهذه للركوب ، وكذا روى من طريق سعيد بن جبير وغيره عن ابن عباس بمثله وقال مثل ذلك  
 الحكم بن عتيبة أيضاً رضي الله عنه ، واستأنسوا بحديث رواه الإمام أحمد في مسنده حدثنا يزيد بن عبد ربه حدثنا بقية  
 ابن الوليد حدثنا ثور بن يزيد عن صالح بن يحيى بن المقدم بن معديكرب عن أبيه عن جده عن خالد بن الوليد رضي الله عنه قال :  
 نهى رسول الله ﷺ عن أكل لحوم الخيل والبغال والحمير . وأحرجه أبو داود والنسائي وابن ماجه من حديث صالح  
 ابن يحيى بن المقدم وفيه كلام ، ورواه أحمد أيضاً من وجه آخر بأبسط من هذا وأدل منه فقال حدثنا أحمد بن عبد الملك  
 حدثنا محمد بن حرب حدثنا سليمان بن سليم عن صالح بن يحيى بن المقدم عن جده المقدم بن معديكرب قال غزونا مع خالد  
 ابن الوليد الصائفة فقدم أصحابنا إلى اللحم فسألوني رمكة فدفعها إليهم فجلوها وقلت مكانكم حتى أتى خالد فأسأله فأنبته  
 فسألته فقال غزونا مع رسول الله ﷺ غزوة خيبر فأسرع الناس في حظائر يهود فأمرني أن أنادي الصلاة جامعة  
 ولا يدخل الجنة إلا مسلم ثم قال « أيها الناس : إنكم قد أسرعتم في حظائر يهود ، ألا لا يحل أموال المعاهدين إلا بحقها

وحرام عليكم لحوم الحمر الأهلية وخيلها وبغالها وكل ذى ناب من السباع وكل ذى مخالب من الطير « والرمكة هي الحجره ، وقوله حبواها أى أوتقوها فى الحبل ليدبحوها ، والحظائر البساتين القريبة من العمران وكان هذا الصنيع وقع بعد عطايتهم العهد ومعاملتهم على الشطر والله أعلم . فلو صح هذا الحديث لكان نصاً فى تحريم لحوم الخيل ولكن لا يقاوم ما ثبت فى الصحيحين عن جابر بن عبد الله قال نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن لحوم الحمر الأهلية وأذن فى لحوم الخيل . ورواه الإمام أحمد وأبو داود بإسنادين كل منهما على شرط مسلم عن جابر قال : ذبحنا يوم خير الخيل والبغال والحمر فنهانا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن البغال والحمر ولم ينهنا عن الخيل وفى صحيح مسلم عن أسماء بنت أبى بكر رضى الله عنهما قالت : نحرنا على عهد رسول صلى الله عليه وسلم فرسا فأكلناه ونحن بالمدينة . فهذه أدل وأقوى وأثبت ، وإلى ذلك صار جمهور العلماء مالك والشافعى وأحمد وأصحابهم وأكثر السلف والخلف والله أعلم . وقال عبد الرزاق أنبأنا ابن جريج عن ابن أبى مليكة عن ابن عباس قال كانت الخيل وحشية فذلها الله لإسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام ، وذكروهما بن منبه فى إسرائيل أنه أن الله خلق الخيل من ريح الجنوب والله أعلم . فقد دل النص على جواز ركوب هذه الدواب ومنها البغال ، وقد أهديت إلى رسول الله ﷺ بغلة فكان يركبها مع أنه قد نهى عن انزاع الحمر على الخيل لثلاثين قطع النسل . قال الإمام أحمد حدثنى محمد بن عبيد حدثنا عمر من آل حذيفة عنه عن الشعبي عن دحية الكلبي قال : قلت يا رسول الله ألا أحمل لك حمار على فرس فتنتج لك بغلا فتركها قال « إنما يفعل ذلك الذين لا يعلمون »

﴿ وَكَلَى اللَّهُ قِصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَيْكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾

لما ذكر تعالى من الحيوانات ما يسار عليه فى السبل الحسية به على الطرق المعنوية الدينية ، وكثيراً ما يقع فى القرآن العبور من الأمور الحسية إلى الأمور المعنوية النافعة الدينية كقوله تعالى ( وترودوا فإن خير الزاد التقوى ) وقال تعالى ( يابى آدم قد أنزلنا عليكم لباساً يواري سوآتكم وريشا ولباس التقوى ذلك خير ) ولما ذكر تعالى فى هذه السورة الحيوانات من الأنعام وغيرها التى يركبونها ويبلغون عليها حاجة فى صدورهم ، وحمل أنقالهم إلى البلاد والأماكن البعيدة والأسفار الشاقة ، شرع فى ذكر الطرق التى يسلكها الناس إليه ، فبين أن الحق منها ما هى موصلة إليه فقال ( وعلى الله قصد السبيل ) كقوله ( وأن هذا صراطى مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ) وقال ( قال هذا صراط على مستقيم ) قال مجاهد فى قوله ( وعلى الله قصد السبيل ) قال طريق الحق على الله ، وقال السدى ( وعلى الله قصد السبيل ) الإسلام وقال العوفى عن ابن عباس فى قوله ( وعلى الله قصد السبيل ) يقول وعلى الله البيان أى بين الهدى والصلاة . وكذا روى على بن أبى طلحة عنه وكذا قال قتادة والضحاك وقول مجاهد ههنا أقوى من حيث السياق لأنه تعالى آخر أن ثم طرقتا تسلك إليه فليس يصل إليه منها إلا طريق الحق وهى الطريق التى شرعها ورضيها ، وما عداها مسدودة والأعمال فيها مردودة ، ولهذا قال تعالى ( ومنها جائر ) أى حائذ مائل زائغ عن الحق قال ابن عباس وغيره هى الطرق المختلفة والآراء والأهواء المنفرقة كاليهودية والنصرانية والمجوسية ، وقرأ ابن مسعود ( وممك جائر ) ثم أخبر تعالى أن ذلك كله كائن عن قدرته ومشيبته فقال ( ولو شاء لهداكم أجمعين ) كما قال تعالى ( ولو شاء ربك لآمن من فى الأرض كلهم جميعاً ) وقال ( ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم وتمت كلمة ربك لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين )

﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجْرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ \* يُبَيِّنُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَأَزْيِتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾

لما ذكر تعالى ما أنعم به عليهم من الأنعام والدواب شرع فى ذكر نعمته عليهم فى إنزال المطر من السماء وهو العلو مما لهم فيه بلغة ومتاع لهم ولأنعامهم فقال ( لكم منه شراب ) أى جعله عناء زلالا يسوغ لكم شربه ولم يجعله

ملحاً أجاجاً ( ومنه شجر فيه تسيمون ) أى وأخرج لكم منه شجراً ترعون فيه أنعامكم . كإفان ابن عباس وعكرمة والضحاك وقتادة وابن زيد فى قوله فى تسيمون أى ترعون ومنه الإبل السائمة ، والسوم : الرعى ، وروى ابن ماجه أن رسول الله ﷺ نهى عن السوم قبل طلوع الشمس وقوله ( يثبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والأعناب ومن كل الثمرات ) أى يخرجها من الأرض بهذا الماء الواحد على اختلاف صنوفها وطعومها وألوانها وروائحها وأشكالها ولهذا قال ( إن فى ذلك لآية لقوم يتفكرون ) أى دلالة وحجة على أنه لا إله إلا الله كما قال تعالى ( أمن خلق السموات والأرض وأنزل لكم من السماء ماء فأنبثنا به حدائق ذات بهجة ما كان لكم أن تنبتوا شجرها ؟ أإله مع الله ؟ بل هم قوم يعدلون ) ثم قال تعالى

﴿ وَسَخَّرَ لَكُمْ الَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِ إِيَّاكَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ \*  
﴿ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴾

بنيه تعالى عباده على آياته العظام ومننه الجسام فى تسخيرها لليل والنهار يتعاقبان والشمس والقمر يدوران ، والنجوم الثوابت والسيارات فى أرجاء السموات نورا وضياء ليهتدى بها فى الظلمات ، وكل منها يسير فى فلكه الذى جعله الله تعالى فيه يسير بحركة مقدره لا يزيد عليها ولا ينقص عنها ، والجميع تحت قهره وسلطانه وتسخيره وتقديره وتسهيله كقوله ( إن ربكم الله الذى خلق السموات والأرض فى ستة أيام ثم استوى على العرش يغشى الليل النهار يطلعه حيثما والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره أإله الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين ) ولهذا قال ( إن فى ذلك لآيات لقوم يعقلون ) أى لدلالات على قدرته تعالى الباهرة وسلطانه العظيم لقوم يعقلون عن الله ويفهمون حججه . وقوله ( وما ذرأ لكم فى الأرض مختلفا ألوانه ) لمانبه تعالى على معالم السماء نبه على ما خلق فى الأرض من الأمور العجيبة والأشياء المختلفة من الحيوانات والمعادن والنباتات والجمادات على اختلاف ألوانها وأشكالها وما فيها من المنافع والحواص ( إن فى ذلك لآية لقوم يذكرون ) أى آلاء الله ونعمه فيشكرونها

﴿ وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حَبْلًا حَلِيَّةً يَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَازِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ \* وَالْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيًا أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَسْرًا وَسُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ \* وَعَلَّمَتْ وَالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ \* أَفَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ \* وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَعَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾

يخبر تعالى عن تسخير البحر المتلاطم الأمواج ، ويمتن على عباده بتدليله لهم وتيسيرهم للركوب فيه وجعله السمك والحيتان فيه وإحلاله لعباده لحمها حيا وميتها فى الحل والإحرام وما يخلق فيه من اللآلىء والجواهر النفيسة وتسهيله للعباد استخراجهم من قراره حلية يلبسونها وتسخيره البحر لحمل السفن التى تمخره أى تشقه وقيل تمخر الرياح وكلاهما صحيح وقيل تمخره بجوئتها وهو صدرها للسمك الذى أرشد العباد إلى صنعها وهداهم إلى ذلك إرثا عن أبيهم نوح عليه السلام فإنه أول من ركب السفن وله كان تعليم صنعها ثم أخذها الناس عنه قرنا بعد قرن وجيلا بعد جيل يسرون من مطر إلى قطر ومن بلد إلى بلد ومن إقليم إلى إقليم لجلب ما هناك إلى ما هنا وما هنا إلى ما هناك ولهذا قال تعالى ( ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون ) أى نعمه وإحسانه ، وقد قال الحافظ أبو بكر البزار فى مسنده وجدت فى كتابى عن محمد بن معاوية البغدادى حدثنا عبد الرحمن بن عبد الله بن عمرو عن سهل بن أبى صالح عن أبيه عن أبى هريرة قال كلم الله البحر العربى وكلم البحر الشرقى فقال للبحر العربى إني حامل فيك عبادا من عبادى فكيف أنت صانع فيهم ؟ قال أعرقهم ، فقال

بأسك في نواحيك وأحلمهم على يدي وحرمت الحلية والصيد ، وكلم هذا البحر الشرقي فقال : إني حامل فيك عبادة من عبادي فما أنت صانع بهم ؟ فقال : أحلمهم على يدي وأكون لهم كالوالدة لولدها فأنا به الحلية والصيد ، ثم قال البزار لا نعلم من رواه عن سهل غير عبد الرحمن بن عبد الله بن عمرو وهو منكر الحديث . وقد رواه سهل عن النعمان بن أبي عياش عن عبد الله بن عمرو موقوفا . ثم ذكر تعالى الأرض وما ألقى فيها من الرواسي الشاخات والجبال الراسيات لتقر الأرض ولا تميد أي تضرب بما عليها من الحيوانات فلا يهنأ لهم عيش بسبب ذلك ولهذا قال ( والجبال أرساها ) وقال عبد الرزاق أنبأنا معمر عن قتادة سمعت الحسن يقول : لما خلقت الأرض كانت تميد فقالوا ما هذه بمقرة على ظهرها أحدا فأصبحوا وقد خلقت الجبال فلم تدر الملائكة مِم خلقت الجبال ، وقال سعيد عن قتادة عن الحسن عن قيس بن عبادة أن الله الما خلق الأرض جعلت تمور فقالت الملائكة : ما هذه بمقرة على ظهرها أحدا فأصبحت . صباحا وفيها رواسيها ، وقال ابن جرير حدثني المثنى حدثني حجاج بن مهال حدثنا حماد عن عطاء بن السائب عن عبد الله بن حبيب عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال لما خلق الله الأرض فضت وقالت أي رب تجعل على بني آدم يعملون الخطايا ويجعلون على الخبيث ؟ قال فأرسل الله فيها من الجبال ماترون ومالا ترون فكان إقرارها كاللحم يترجح . وقوله ( وأنها رأ وسبلا ) أي جعل فيها أنهارا تجري من مكان إلى مكان آخر رزقا للعباد ينبع في موضع وهو ررق لأهل موضع آخر فيقطع البقاع والبراري والفقار ويخترق الجبال والآكام فيصل إلى البلد الذي سخر لأهله وهي سائرة في الأرض يمنة ويسرة وجنوبا وشمالا وشرقا وغربا ما بين صغار وكبار وأودية تجري حيناً وتنقطع في وقت وما بين نبع وجمع وقوى السير وبطنه بحسب ما أراد وقدر وسخر ويسر ، فلا إله إلا هو ولا رب سواه ، وكذلك جعل فيها سبلا أي طرقا يسلك فيها من بلاد إلى بلاد حتى إنه تعالى ليقطع الجبل حتى يكون ما بينهما ممراً ومسلكا كما قال تعالى ( وجعلنا فيها فجاجا سبلا ) الآية وقوله ( وعلامات ) أي دلائل من جبال كبار وآكام صغار ومحو ذلك يستدل بها المسافرون برا وبحرا إذا ضلوا الطرق . وقوله ( وبالنجم هم يهتدون ) أي في ظلام الليل قاله ابن عباس وعن مالك في قوله ( وعلامات والنجم هم يهتدون ) يقول النجوم وهمى الجبال ، ثم نبه تعالى على عظمتها وأنه لا تنبغي العبادة إلا له دون ما سواه من الأوثان التي لا تخلق شيئا بل هم مخلوقون ولهذا قال ( أفمن يخلق كمن لا يخلق ؟ أفلا تذكرون : ) ثم نبههم على كثرة نعمه عليهم وإحسانه إليهم فقال ( وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها إن الله لَغفور رحيم ) أي يتجاوز عنكم ، ولوطالبكم بشكر جميع نعمه لعجزتم عن القيام بذلك ولو أمركم به لضعفتم وتركتكم ولوعذبكم لعذبكم وهو غير ظالم لكم ولكنه غفور رحيم يغفر الكثير ويجازي على اليسير ، وقال ابن جرير يقول إن الله لغفور لما كان منكم من تقصير في شكر بعض ذلك إذا تبتم وأنبتم إلى طاعته واتباع مرضاته رحيم بكم لا يعذبكم بعد الانابة والتوبة

﴿ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴾ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ \* أَمْ مَاتَ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿

يخبر تعالى أنه يعلم الضمائر والسرائر كما يعلم الظواهر وسيجزي كل عامل بعمله يوم القيامة إن خيرا فخير وإن شرا فشر . ثم أخبر أن الأصنام التي يدعونها من دون الله لا يخلقون شيئا وهم يخلقون كما قال الخليل ( أتعبدون ما تنحتون ؟ والله خلقكم وما تعملون ) وقوله ( أموات غير أحياء ) أي هي جمادات لا أرواح فيها فلا تسمع ولا تبصر ولا تعقل ( وما يشعرون أي لا يدرون متى تكون الساعة فكيف يرتجى عند هذه نفع أو ثواب أو جزاء ؟ إنما يرجى ذلك من الذي يعلم كل شيء وهو خالق كل شيء

﴿ إِلَهُكُمْ إِلَهٌُ وَاحِدٌ فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ ﴾ لَا جَرَمَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ \* إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ ﴿

يخبر تعالى أنه لا إله إلا هو الواحد الأحد الفرد الصمد ، وأخبر أن الكافرين تنكر قلوبهم ذلك كما أخبر عنهم متعجبين من ذلك ( أجعل الآلهة إلها واحداً ؟ إن هذا لشيء عجاب ) وقال تعالى ( وإذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة وإذا ذكر الذين من دونه إذا هم يستكبرون ) وقوله ( وهم مستكبرون ) أى عن عبادة الله مع إنكار قلوبهم لتوحيده كما قال ( إن الذين يستكبرون عن عبادتى سيدخلون جهنم داخرين ) ولهذا قال ههنا ( لاجرم ) أى حفا ( أن الله يعلم ما يسرون وما يعلنون ) أى وسيجزئهم على ذلك أتم الجزاء ( إنه لا يحب المستكبرين )

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ مَاذَا أُنزِلَ رَبُّكُمْ قَالُوا أُسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ \* لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ ﴾

يقول تعالى وإذا قيل لهؤلاء المكذبين ( ماذا أنزل ربكم قالوا ) معرضين عن الجواب ( أساطير الأولين ) أى لم ينزل شيئا إنما هذا الذى يتلى علينا أساطير الأولين أى مأخوذ من كتب المتقدمين كما قال تعالى ( وقالوا أساطير الأولين اكتبها فهى تملى عليه بكرة وأصيلا ) أى يفترون على الرسول ويقولون أقوالا متضادة مختلفة كلها باطلة كما قال تعالى ( انظر كيف ضربوا لك الأمثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلا ) وذلك أن كل من خرج عن الحق فهمما قال أخطأ ، وكانوا يقولون ساحر وشاعر وكاهن ومجنون ثم استقر أمرهم إلى ما اختلقه لهم شيخهم الوحيد المسمى بالوليد بن المغيرة المخزومي لما ( فكر وقدر ، فقتل كيف قدر ، ثم قتل كيف قدر ، ثم نظر ، ثم عبس وبسر ، ثم أدبر واستكبر ، فقال إن هذا إلا سحر يؤثر ) أى ينقل ويحكى فتفرقوا عن قوله ورأيه قبحهم الله ، قال الله تعالى ( ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم ) أى إنما قدرنا عليهم أن يقولوا ذلك ليتحملوا أوزارهم ومن أوزار الذين يتبعونهم ويوافقونهم أى يصير عليهم خطيئة ضلالهم فى أنفسهم وخطيئة إغوائهم لغرهم واقتداء أولئك بهم كما جاء فى الحديث « من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من اتبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئا ، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من اتبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئا » وقال تعالى ( وليحملن أثقالهم وأثقالا مع أثقالهم وليستلن يوم القيامة عما كانوا يفترون ) وهكذا روى العوفي عن ابن عباس فى الآية ( ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم ) أنها كقوله ( وليحملن أثقالهم وأثقالا مع أثقالهم ) وقال مجاهد يحملون أثقالهم وذنوبهم وذنوب من أطاعهم ولا يخفف عنهم أطاعهم من العذاب شيئا

﴿ قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّفْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ \* ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تُشَاقِقُونَ فِيهِمْ قَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ إِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ وَالسُّوءَ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾

قال العوفي عن ابن عباس فى قوله ( قدم مكر الذين من قبلهم ) قال هو الخمر الذى بنى الصرح ؛ قال ابن أبى حاتم وروى عن مجاهد نحوه وقال عبد الرزاق عن معمر عن زيد بن أسلم أول جبار كان فى الأرض الخمر الذى بنى الصرح فبعث الله عليه بعوضة فدخلت فى منخره فكتت أربعائة سنة يضرب رأسه بالمطارق وأرحم الناس به من جمع يديه فضرب بهما رأسه ، وكان جبارا أربعائة سنة فعذبه الله أربعائة سنة كملكه ثم أماته وهو الذى بنى الصرح إلى السماء الذى قال الله تعالى ( فأتى الله بنيانهم من القواعد ) وقال آخرون بل هو يختصر وذكروا من المكر الذى حكاه الله ههنا كما قال فى سورة إبراهيم ( وإن كان مكرهم لتزول منه الجبال ) وقال آخرون هذا من المثل لإبطال ما صنعه هؤلاء الذين كفروا بالله وأشركوا فى عبادته غيره كما قال نوح عليه السلام ( ومكروا مكرا كبيرا ) أى احتالوا فى إضلال الناس بكل حيلة

وأمالوهم إلى شركهم بكل وسيلة كما يقول لهم أتباعهم يوم القيامة ( بل مكر الليل والنهار إذ تأمرونا أن نسكف بالله ونجعل له أنداداً ) الآية وقوله ( فأتى الله بنيانهم من القواعد ) أى اجثته من أصله وأبطل عملهم كقوله تعالى ( كلما أوقدوا ناراً للحرب أطفاها الله ) وقوله ( فاتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف في قلوبهم الرعب يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين فاعتبروا يا أولى الأبصار ) وقال الله ههنا ( فأتى الله بنيانهم من القواعد فخر عليهم السقف من فوقهم وأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون ثم يوم القيامة يخزيهم ) أى يظهر فضائهم وما كانت تجنه ضائهم فيجعله علانية كقوله تعالى ( يوم تبلى السرائر ) أى تظهر وتشتهر كما في الصحيحين عن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ « ينصب لسكل غادر لواء يوم القيامة عند استه بقدر غدرته فيقال هذه غدره فلان بن فلان » وهكذا هؤلاء يظهر للناس ما كانوا يسرونه من السكر ومخزيهم الله على رؤوس الخلائق ويقول لهم الرب تبارك وتعالى مقرعاً لهم وموبخاً ( أن شركائى الذين كنتم تشاقون فيهم ) تخاربون وتعادون في سبيلهم أن هم عن نصركم وخلاصكم ههنا ؟ ( هل ينصرونكم أو ينتصرون ) ( فماله من قوة ولا ناصر ) فإذا توجهت عليهم الحجة وقامت عليهم الدلالة ، وحقت عليهم الكلمة وسكتوا عن الاعتذار حين لافرار ( قال الذين أوتوا العلم ) وهم السادة في الدنيا والآخرة والمخربون عن الحق في الدنيا والآخرة فيقولون حينئذ ( إن الخزي اليوم والسوء على الكافرين ) أى الفضيحة والعذاب يحيط اليوم بمن كفر بالله وأشرك به مما يضره ومالا ينفعه

﴿ الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ فَأَلْقَوْا أَلْسَلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ بَلَى إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَلَيْسَ مَشْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴿

يخبر تعالى عن حال الشركين الظالمى أنفسهم عند احتضارهم ومجيء الملائكة اليهم لقبض أرواحهم الخبيثة ( فألقوا السلم ) أى أظروا السمع والطاعة والانقياد قائلين ( ما كنا نعمل من سوء ) كما يقولون يوم المعاد ( والله ربنا ما كنا مشركين ) ( يوم يبعثهم الله جميعاً فيحلفون له كما يحلفون لكم ) قال الله مكذباً لهم في قيلهم ذلك ( بلى إن الله عليم بما كنتم تعملون ﴾ فادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فليئس مشوى المتكبرين ) أى بسئ المقيم والمقام والمكان من دار هوان لمن كان متكبراً عن آيات الله واتباع رسله وهم يدخلون جهنم من يوم مماتهم بأرواحهم وينال أجسادهم في قبورها من حرها وسمومها فإذا كان يوم القيامة سلكت أرواحهم في أجسادهم وخذلت في نار جهنم ( لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها ) كما قال الله تعالى ( النار يعرضون عليها غدواً وعشياً ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب )

﴿ وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرًا لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ ﴾ جَنَّتٌ عَدْنٌ يَدْخُلُونَهَا يُجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ كَذَلِكَ يَجْزِي اللَّهُ الْمُتَّقِينَ الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿

هذا خبر عن السعداء بخلاف ما أخبر به عن الأشقياء فإن أولئك قيل لهم ( ماذا أنزل ربكم ) قالوا معرضين عن الجواب لم ينزل شيئاً إنما هذا أساطير الأولين ، وهؤلاء قالوا خيراً أى أنزل خيراً أى رحمة وبركة لمن اتبعه وآمن به ، ثم أخبر عما وعد الله عباده فيما أنزله على رسله فقال ( للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة ) الآية كقوله تعالى ( من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنجينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون ) أى من أحسن عمله في الدنيا أحسن الله إليه عمله في الدنيا والآخرة ثم أخبر بأن دار الآخرة خير أى من الحياة الدنيا والجزء فيها أتم من الجزء في الدنيا كقوله ( وقال الذين أوتوا العلم ويلسكم ثواب الله خير ) الآية . وقال تعالى ( وما عند الله خير للأبرار ) وقال تعالى ( والآخرة خير وأبقى ) وقال رسوله ﷺ ( وللآخرة حيرل من الأولى ) ثم وصف الدار الآخرة فقال ( ولنعم دار المتقين ) وقوله

(جنات عدن) بدل من دار اللتين أي لهم في الآخرة جنات عدن أي مقام يدخلونها (نجرى من تحتها الأنهار) أي بين أشجارها وقصورها (لهم فيها ما يشاءون) كقوله تعالى (وفيها ما تشبه الأنفس وتلذ الأعين وأتم فيها خالدون) وفي الحديث «ان السحابة لخير الملائم من أهل الجنة وهم جلوس على شراهم فلا يشتهي أحد منهم شيئاً إلا أمطرته عليه حتى إن منهم لمن يقول أمطرينا كواعب أتراباً فيكون ذلك» (كذلك يجزي الله كل من آمن به واثقاه وأحسن عمله، ثم أخبر تعالى عن حالهم عند الاحتضار أنهم طيبون أي مخلصون من الشرك والدنس وكل سوء وأن الملائكة تسلم عليهم وتبشرهم بالجنة كقوله تعالى (إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة أن لا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون \* نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم ولكم فيها ما تدعون \* نزلاً من غفور رحيم) وقد قدمنا الأحاديث الواردة في قبض روح المؤمن وروح الكافر عند قوله تعالى (يثبت الله الدين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء)

﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ \* فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴾

يقول تعالى مهدياً للمشركين على تماديهم في الباطل واعتزازهم بالدنيا هل ينتظر هؤلاء إلا الملائكة أن تأتيهم لقبض أرواحهم قاله قتادة (أو يأتي أمر ربك) أي يوم القيامة وما يعاينونه من الأهوال وقوله (كذلك فعل الذين من قبلهم) أي هكذا تمادي في شركهم أسلافهم ونظراؤهم وأشباههم من المشركين حتى ذاقوا بأس الله وحلوا فيهم من العذاب والنكال (وما ظلمهم الله) لأنه تعالى أعذر إليهم وأقام حججه عليهم بارسال رسله وإزال كتبه (ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) أي بمخالفة الرسل والتكذيب بما جاءوا به، فلهذا أصابهم عقوبة الله على ذلك (وحاق بهم) أي أحاط بهم من العذاب الألم (ما كانوا به يستهزئون) أي يسخرون من الرسل إذا توعدوهم بعقاب الله فلهذا يقال لهم يوم القيامة (هذه النار التي كنتم بها تكذبون)

﴿ وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَحْنُ وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَهَلْ عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ \* وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكذِّبِينَ \* إِنْ تَحْرِصْ عَلَى هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ يُضِلُّ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ﴾

يخبر تعالى عن اغترار المشركين بما هم فيه من الإشراك واعتزازهم محتجين بالقدر بقولهم (لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء نحن ولا آباؤنا ولا حرمنا من دونه من شيء) أي من البهائم والسواحب والوصائل وغير ذلك مما كانوا ابتدعوه واخترعوه من تلقاء أنفسهم ما لم ينزل به سلطاناً، ومضمون كلامهم أنه لو كان تعالى كارهاً لما فعلنا لأنكره علينا بالعقوبة ولما مكنتنا منه قال الله تعالى راداً عليهم شبهتهم (فهل على الرسل إلا البلاغ المبين) أي ليس الأمر كاتزعمون أنه لم ينكره عليكم بل قد أنكره عليكم أشد الانكار ونهاكم عنه آكد النهي وبعث في كل أمة أي في كل قرن وطائفة من الناس رسولا وكلهم يدعون إلى عبادة الله وينهون عن عبادة ما سواه (أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت) فلم يزل تعالى يرسل إلى الناس الرسل بذلك منذ حدث الشرك في بني آدم في قوم نوح الذين أرسل إليهم نوح وكان أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض إلى أن ختمهم بمحمد ﷺ الذي طبقت دعوته الإنس والجن في المشارق والمغرب، وكلهم كما قال الله تعالى (وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون) وقوله تعالى (واسئلكم

من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجمعنا من دون الرحمن آلهة يعبدون ) وقال تعالى في هذه الآية الكريمة ( ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت ) فكيف يسوغ لأحد من المشركين بعد هذا أن يقول ( لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء ) فشيئته تعالى الشرعية عنهم منتفية لأنه نهاهم عن ذلك على السنة رسله ، وأما مشيئته الكونية وهي تمكينهم من ذلك قدراً فلا حجة لهم فيها لأنه تعالى خلق النار وأهلها من الشياطين والكفرة وهو لا يرضى لعباده الكفر وله في ذلك حجة بالغة وحكمة قاطعة ثم إنه تعالى قد أخبر أنه أنكر عليهم بالعقوبة في الدنيا بعد إنذار الرسل فلماذا قال ( فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة فسيرا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين ) أى أسألوا عما كان من أمر من خالف الرسل وكذب الحق كيف ( دمر الله عليهم وللكافرين أمثالها ) فقال ( ولقد كذب الذين من قبلهم فكيف كان نكير ) ثم أخبر الله تعالى رسوله ﷺ أن حرصه على هدايتهم لا ينفعهم إذا كان الله قد أراد إضلالهم كقوله تعالى ( ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئاً ) وقال نوح لقومه ( ولا ينفعكم نصحي إن أردت أن أنصح لكم إن كان الله يريد أن يغويكم ) وقال في هذه الآية الكريمة ( إن تحرص على هدايتهم فإن الله لا يهدي من يضل ) كما قال الله ( من يضل الله فلا هادى له ويذرهم في طغيانهم يعمهون ) وقال تعالى ( إن الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الأليم ) وقوله ( فإن الله ) أى شأنه وأمره أنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن فلماذا قال ( لا يهدي من يضل ) أى من أضله ، فمن ذا الذى يهديه من بعد الله ؟ أى لا أحد ( وما لهم من ناصرين ) أى يتقدونهم من عذابه ووثاقه ( ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين )

﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَن يَمُوتُ بَلَىٰ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾  
لِيُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي يُخْتَلَفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا كَاذِبِينَ ﴿ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَا أَن نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾

يقول تعالى مخبراً عن المشركين أنهم حلفوا فأقسموا بالله جهد أيمانهم أى اجتهدوا في الحلف وغلظوا الأيمان على أنه لا يبعث الله من يموت أى استبعدوا ذلك وكذبوا الرسل في إخبارهم لهم بذلك وحلفوا على تقيضه فقال تعالى مكذبا لهم ورادا عليهم ( بلى ) أى بلى سيكون ذلك ( وعدا عليه حقا ) أى لا بد منه ( ولكن أكثر الناس لا يعلمون ) أى فجهلهم يخالفون الرسل ويقعون في الكفر ، ثم ذكر تعالى حكمته في المعاد وقيام الأجساد يوم التناد فقال ( ليبين لهم ) أى للناس ( الذى يختلفون فيه ) أى من كل شيء ( ويجزي الذين أساءوا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى ) ( وليعلم الذين كفروا أنهم كانوا كاذبين ) أى فى أيمانهم وأقسامهم لا يبعث الله من يموت ولهذا يدعون يوم القيامة إلى نار جهنم دعا وتقول لهم الزبانية ( هذه النار التى كنتم بها تكذبون \* أفسح هذا أم أتم لا تبصرون \* اصلوها فاصبروا أو لا تصبروا سواء عليكم إنما تجزون ما كنتم تعملون ) ثم أخبر تعالى عن قدرته على ما يشاء وأنه لا يعجزه شيء فى الأرض ولا فى السماء وإنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون والمعاد من ذلك إذا أراد كونه فإمراً يأمر به مرة واحدة فيكون كما يشاء كقوله ( وما أمرنا إلا واحدة كلعج بالبصر ) وقال ( ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة ) وقال فى هذه الآية الكريمة ( إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون ) أى أن تأمر به مرة واحدة فإذا هو كائن كما قال الشاعر  
إذا ما أراد الله أمراً فأبما \* يقول له كن قوله فيكون

أى أنه تعالى لا يحتاج إلى تأكيد فيما يأمر به فإنه تعالى لا يمانع ولا يخالف لأنه الواحد القهار العظيم الذى قهر سلطانه وجبروته وعزته كل شيء فلا إله إلا هو ولا رب سواه ، وقال ابن أبى حاتم ذكر الحسن بن محمد بن الصباح حدثنا حجاج عن ابن جريج أخبرنى عطاء أنه سمع أبا هريرة يقول قال الله تعالى: شتمنى ابن آدم ولم يكن ينبغي له ذلك وكذبنى ابن آدم ولم يكن ينبغي له ذلك فأما تكذيبه إياى فقال ( وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت )

قال وقت ( بلى وعدا عليه حقا ولكن أكثر الناس لا يعلمون ) أما شتمه إياي فقال ( إن الله ثالث ثلاثة ) وقت ( فل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد ) . هكذا ذكره موقوفا وهو في الصحيحين مرفوعا بلفظ آخر ﴿ وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا لَنَبُوْنَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَا جَزَاءَ الْآخِرَةِ أَكْبَرَ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿

يخبر تعالى عن جزائه للمهاجرين في سبيله ابتغاء مرضاته الذين فارقوا الدار والإخوان والخلان رجاء ثواب الله وجزائه ويحتمل أن يكون سبب نزولها في مهاجرة الحبشة الذين اشتد أذى قومهم لهم بمكة حتى خرجوا من بين أظهرهم إلى بلاد الحبشة ليتمكنوا من عبادة ربهم ، ومن أشرفهم عثمان بن عفان ومعه زوجته رقية بنت رسول الله ﷺ وجعفر بن أبي طالب بن عم الرسول وأبو سلمة بن عبد الأسد في جماعة قريب من ثمانين ما بين رجل وامرأة صديق وصديقة رضى الله عنهم وأرضاهم وقد فعل فوعدهم تعالى بالمجازاة الحسنة في الدنيا والآخرة فقال ( لنبوئهم في الدنيا حسنة ) قال ابن عباس والشعبي وقتادة المدينة وقيل الرزق الطيب قاله مجاهد ولا منافاة بين القولين فإنهم تركوا مساكنهم وأموالهم فعوضهم الله خيراً منها في الدنيا فإن من ترك شيئاً لله عوضه الله بما هو خير له منه وكذلك وقع فإنهم مكن الله لهم في البلاد وحكمهم على رقاب العباد وصاروا أمراء حكماً وكل منهم للمتقين إماماً وأخبر أن ثوابه للمهاجرين في الدار الآخرة أعظم مما أعطاهم في الدنيا فقال ( ولأجر الآخرة أكبر ) أى مما أعطيناهم في الدنيا ( لو كانوا يعلمون ) أى لو كان المتخلفون عن الهجرة معهم يعلمون ما ادخر الله لمن أطاعه واتبع رسوله ولهذا قال هشيم عن العوام عمن حدثه أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان إذا أعطى الرجل من المهاجرين عطاه يقول خذ بارك الله لك فيه هذا ما وعدك الله في الدنيا وما ادخر لك في الآخرة أفضل ثم قرأ هذه الآية ( لنبوئهم في الدنيا حسنة ولأجر الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون ) ثم وصفهم تعالى فقال ( الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون ) أى صبروا على الأذى من قومهم متوكلين على الله الذى أحسن لهم العاقبة في الدنيا والآخرة

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ بِالْبَيْتِ وَالزُّبُرِ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿

قال الضحاك عن ابن عباس لما بعث الله محمداً ﷺ رسولا أنكرت العرب ذلك أو من أنكر منهم وقالوا الله أعظم من أن يكون رسوله بشراً فأنزل الله ( أكان للناس عجباً أن أوحينا إلى رجل منهم أن أنذر الناس ) الآية وقال ( وما أرسلنا من قبلك إلا رجالاً نوحى إليهم فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون ) يعنى أهل الكتب الماضية أبشراً كانت الرسل إليهم أم ملائكة ؟ فإن كانوا ملائكة أنكرتم وإن كانوا بشراً فلا تنكروا أن يكون محمداً ﷺ رسولا قال تعالى ( وما أرسلنا من قبلك إلا رجالاً نوحى إليهم من أهل القرى ) ليسوا من أهل السماء كما قلتم وكذا روى عن مجاهد عن ابن عباس أن المراد بأهل الذكر أهل الكتاب وقاله مجاهد والأعمش وقول عبد الرحمن بن زيد الله ذكر القرآن واستشهد بقوله ( إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ) صحيح لكن ليس هو المراد ههنا لأن المخالف لا يرجع في إثباته بعد إنكاره إليه وكذا قول أبي جعفر الباقر عن أهل الذكر ومراده أن هذه الأمة أهل الذكر صحيح فإن هذه الأمة أعلم من جميع الأمم السالفة . وعلماء أهل بيت رسول الله عليهم السلام والرحمة من خير العلماء إذا كانوا على السنة المستقيمة كعلي وابن عباس وبنى علي الحسن والحسين ومحمد بن الحنفية وعلي بن الحسين زين العابدين وعلي بن عبد الله بن عباس وأبي جعفر الباقر وهو محمد بن علي بن الحسين وجعفر ابنه وأمثالهم وأضرابهم وأشكالهم ممن هو متمسك بحبل الله المتين وصرطه المستقيم وعرف لكل ذى حقه ونزل كل (١) المنزل الذى أعطاه

(١) هكذا في جميع النسخ والوجه ونزل كلا إلخ .

الله ورسوله واجتمعت عليه قلوب عباده المؤمنين ، والغرض أن هذه الآية الكريمة أخبرت بأن الرسل الماضين قبل محمد صلى الله عليه وسلم كانوا بشراً كما هو بشر كما قال تعالى ( قل سبحان ربي هل كنت إلا بشراً رسولا ؟ وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى إلا أن قالوا أبعث الله بشراً رسولا ؟ ) وقال تعالى ( وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا إنهم ليأكلون الطعام ويمشون في الأسواق ) وقال تعالى ( وما جعلناهم جسداً لا يأكلون الطعام وما كانوا خالدين ) وقال ( قل ما كنت بدعاً من الرسل ) وقال تعالى ( قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إليّ ) ثم أرشد الله تعالى من شك في كون الرسل كانوا بشراً إلى سؤال أصحاب الكتب المتقدمة عن الأنبياء الذين سلفوا هل كان أنبيأؤهم بشراً أم ملائكة ، ثم ذكر تعالى أنه أرسلهم ( بالبينات ) أى بالحجج والدلائل ( والزبر ) وهى الكتب قاله ابن عباس ومجاهد والضحاك وغيرهم ، والزبر جمع زيور تقول العرب زبرت الكتاب إذا كتبتة . وقال تعالى ( وكل شيء فعلموه في الزبر ) وقال ( ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادى الصالحون ) ثم قال تعالى ( وأنزّلنا إليك الذكر ) يعنى القرآن ( لتبين للناس ما نزل إليهم ) أى من ربهم لعلك بمعنى ما أنزل الله عليك وحرصك عليه واتباعك له ولعلمنا بأنك أفضل الحلائق وسيد ولد آدم فتفصل لهم ما أجل وتبين لهم ما أشكل ( ولعلمهم يتفكرون ) أى ينظرون لأنفسهم فيهدون فيفوزون بالنجاة في الدارين

﴿ أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ \* أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقْلِبِهِمْ فَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ \* أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾

يخبر تعالى عن حلمه وإنظاره العصاة الذين يعملون السيئات ويدعون إليها ويمكرون بالناس في دعائهم إياهم وحملهم عليها مع قدرته على أن يخسف بهم الأرض أو يأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون أى من حيث لا يعلمون بحجته إليهم كقوله تعالى ( أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض فإذا هي تمور \* أم أمنتم من في السماء أن يرسل عليكم حاصباً فستعلمون كيف نذير ) وقوله ( أو يأخذهم في تقلبهم ) أى في تقلبهم في العايش واشتغالهم بها في أسفار ونحوها من الأشغال الملهية ، قال قتادة والسدى تقلبهم أى أسفارهم ، وقال مجاهد والضحاك وقتادة ( في تقلبهم ) في الليل والنهار كقوله ( أفأمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا بياتاً وهم نائمون \* أو أمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا ضحى وهم يلعبون ) وقوله ( ففهم بمعجزين ) أى لا يعجزون الله على أى حال كانوا عليه وقوله ( أو يأخذهم على تخوف ) أى أو يأخذهم الله في حال خوفهم من أخذه لهم فإنه يكون أبلغ وأشد فأن حصول ما يتوقع مع الخوف شديد ولهذا قال العوفي عن ابن عباس ( أو يأخذهم على تخوف ) يقول إن شئت أخذته على أثر موت صاحبه وتخوفه بذلك وكذا زوى عن مجاهد والضحاك وقتادة وغيرهم ثم قال تعالى ( فإن ربكم لرءوف رحيم ) أى حيث لم يعاجلكم بالعقوبة كما ثبت في الصحيحين « لا أحد أصبر على أذى سمعه من الله ، إنهم يحملون له ولدا وهو يرزقهم ويعافهم » وفيها « إن الله ليلى للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته » ثم قرأ رسول الله ﷺ ( وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهى ظالمة إن أخذها ألم شديد ) وقال تعالى ( وكأين من قرية أهلكناها وهى ظالمة ثم أخذتها وإلى المصير )

﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ يَتَفَيَّؤُا ظِلْمَهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَالِ لِيَلْسُجْدًا لِلَّهِ وَهُمْ دُخِرُونَ \* وَاللَّهُ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ \* يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾

يخبر تعالى عن عظمته وجلاله وكبرائه الذى خضع له كل شيء ، ودان له الأشياء والخلوقات بأسرها جماداتها وحيواناتها ومكفوها من الإنس والجن والملائكة فأحسب أن كل ماله ظل يتفياً ذات اليمين ودان الشمال أى بكرة

وعشيا فانه ساجد بظله لله تعالى . قال مجاهد إذا زالت الشمس سجد كل شيء لله عز وجل وكذا قال قتادة والضحاك وغيرهم ، وقوله ( وهم داخرون ) أى صاغرون وقال مجاهد أيضاً سجد كل شيء فيؤه وذكر الجبال قال سجدوها فيؤها وقال أبو غالب الشيباني أمواج البحر صلاته وتزلهم منزلة من يعقل إذ أسند السجود إليهم فقال ( لله يسجد ما في السموات وما في الأرض من دابة ) كما قال ( والله يسجد من في السموات والأرض طوعاً وكرها وظلالهم بالغدو والآصال ) وقوله ( والملائكة وهم لا يستكبرون ) أى تسجد لله أى غير مستكبرين عن عبادته ( يخافون ربهم من فوقهم ) أى يسجدون خائفين وجلين من الرب جل جلاله ( يفعلون ما يؤمرون ) أى مشايرين على طاعته تعالى وامثال أوامره ، وترك زواجه

﴿ وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهُ وَاحِدٌ فَإِنِّي فَازَهُبُونَ ﴾ \* وَلَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ  
 وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبًا أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَتَّقُونَ \* وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضَّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْتَرُونَ \* ثُمَّ إِذَا  
 كَشَفَ الضَّرَّ عَنْكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْكُمْ يَرِبَّهِمْ يُشْرِكُونَ \* لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَهُمْ فَيَمْتَعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿

يخبر تعالى أنه لا إله إلا هو وأنه لا ينبغي العبادة إلا له وحده لا شريك له فانه مالك كل شيء وخالقه وربّه ( وله الدين واصباً ) قال ابن عباس وميمون بن مهران والسدى وقاتدة وغير واحد أى دائماً وعن ابن عباس أيضاً أى واجبا ، وقال مجاهد أى خالصه أى له العبادة وحده من في السموات والأرض كقوله ( أفغير دين الله يبعثون \* وله أسلم من في السموات والأرض طوعاً وكرهاً وإليه يرجعون ) هذا على قول ابن عباس وعكرمة فيكون من ناب الخبر وأما على قول مجاهد فانه يكون من باب الطلب أى اربهاوا أن تشركوها شيئاً وأخلصوا لى الطاعة كقوله تعالى ( ألا لله الدين الخالص ) ثم أخبر أنه مالك النفع والضر وأن ما بالعباد من رزق ونعمة وعافية ونصر فمن فضله عليهم ، وإحسانه إليهم ( ثم إذا مسكم الضر فإليه تجأرون ) أى لعلمكم أنه لا يقدر على إزالته إلا هو فإنكم عند الضرورات تلجأون إليه وتسالونه وتلجئون فى الرغبة إليه مستغيثين به كقوله تعالى ( وإذا مسكم الضر فى البحر ضل من تدعون إلا إياه فلما نجاكم إلى البر أعرضتم وكان الإنسان كفوراً ) وقال ههنا ( ثم إذا كشف الضر عنكم إذا فريق منكم بربهم يشركون \* ليكفروا بما آتيناكم ) قيل اللام ههنا لام العاقبة وقيل لام التعليل بمعنى قيضنا لهم ذلك ليكفروا أى يستروا ويحسدوا نعم الله عليهم وأنه للسدى إليهم النعم ، الكاشف عنهم النعم ثم توعدهم قائلاً ( فتمتعوا ) أى اعملوا ما شئتم وتمتعوا بما أتم فيه قليلاً ( فسوف تعلمون ) أى عاقبة ذلك

﴿ وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَمْلِكُونَ نَصَبًا مِّمَّا رَزَقْنَاهُمْ تَاللَّهِ لَتُسْئَلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَفْتَرُونَ ﴾ \* وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَدَنَ  
 سُبْحَانَهُ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ \* وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِنْ  
 سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ \* لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ  
 مَثَلُ السَّوْءِ وَ لِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿

يخبر تعالى عن قبائح المشركين الذين عبدوا مع الله غيره من الأصنام والأوثان والأنداد بغير علم وجعلوا للأوثان نصيباً مما رزقهم الله فقالوا ( هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا فما كان لشركائهم فلا يصل إلى الله وما كان لله فهو يصل إلى شركائهم ساء ما يحكمون ) أى جعلوا لألهتهم نصيباً مع الله وفضلوها على جانبه فأقسم الله تعالى بنفسه الكريمة ليسألنهم عن ذلك الذى افتروه واثفكوه وليقابلنهم عليه وليجازينهم أوفر الجزاء فى نار جهنم فقال ( تالله لتسئلن عما

كنتم تفترون ) ثم أخبر تعالى عنهم أنهم جعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إنانا وجعلوها بنات الله فعبدها معه فأخطأوا خطأ كبيراً في كل مقام من هذه المقامات الثلاث فانسوا إليه تعالى أن له ولداً ولا ولد له ثم أعطوه أحسن القسمين من الأولاد وهو البنات وهم لا يرضونها لأنفسهم كما قال ( ألم الذي له الأنتى ؟ تلك إذا قسمة ضيرى ) وقوله ههنا ( ويجعلون لله البنات سبحانه ) أى عن قولهم وإفكهم ( ألا إنهم من إفكهم ليقولن ولد الله وإنيهم لكاذبون \* أصطفى البنات على البنين ؟ ما لكم كيف تحكمون ) وقوله ( ولم ما يشتهون ) أى يختارون لأنفسهم الله كور ويأثفون لأنفسهم من البنات التي نسبوها إلى الله ، تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً . فإنه ( إذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسوداً ) أى كئيباً من الهم ( وهو كظيم ) ساكت من شدة ما هو فيه من الحزن ( يتوارى من القوم ) أى يكره أن يراه الناس ( من سوء ما بشر به أيمسكه على هون أم يدسه في التراب ) أى إن أبقاها أبقاها مهانة لا يورثها ولا يعتنى بها ويفضل أولاده الله كور عليها ( أم يدسه في التراب ) أى يدها وهو أن يدفنها فيه حية كما كانوا يصنعون في الجاهلية ، أفمن يكرهونه هذه الكراهة ويأثفون لأنفسهم عنه يجعلونه لله ؟ ( ألا ساء ما يحكمون ) أى بشس ما قالوا وبشس ما قسموا وبشس ما نسبوه إليه كقوله تعالى ( وإذا بشر أحدهم بما ضرب الرحمن مثلا ظل وجهه مسوداً وهو كظيم ) وقوله ههنا ( للذين لا يؤمنون بالآخرة مثل السوء ) أى النقص إنما ينسب إليهم ( والله المثل الأعلى ) أى الكمال المطلق من كل وجه وهو منسوب إليه ( وهو العزيز الحكيم )

﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَشْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ \* وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَىٰ لَا جَرَمَ لَهُمْ النَّارَ وَأَنَّهُمْ مُّفْرَطُونَ ﴾

يخبر تعالى عن حمله بخلقه مع ظلمهم وأنه لو يؤاخذهم بما كسبوا مترك على ظهر الأرض من دابة أى لأهلك جميع دواب الارض تبعاً لإهلاك بنى آدم ولكن الرب جل جلاله يحلم ويستتر ، وينظر إلى أجل مسمى أى لا يعاجلهم بالعقوبة ، إذ لو فعل ذلك بهم لما أبقى أحداً ، قال سفيان الثوري عن أبي إسحق عن أبي الاحوص أنه قال كاد الجمل أن يعذب بذنوب بنى آدم وقرأ الآية ( ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم ما ترك عليها من دابة ) وكذا روى الاعمش عن أبي إسحق عن أبي عبيدة قال : قال عبد الله كاد الجمل أن يهلك في جحره بخطيئة بنى آدم وقال ابن جرير حدثني محمد بن المثني حدثنا إسماعيل ابن حكيم الخراعى حدثنا محمد بن جابر الحنفى عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة قال سمع أبو هريرة رجلاً وهو يقول : إن الظالم لا يضر إلا نفسه ، قال فالتفت إليه فقال بلى والله حتى إن الجبارى لتموت في وكرها بظلم الظالم . وقال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين أنبأنا الوليد بن عبد الملك حدثنا عبيد الله بن شريحيل حدثنا سليمان بن عطاء عن سلمة بن عبد الله عن عمه أبي مشجعة بن ربيع عن أبي البرداء رضى الله عنه قال ذكرنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « إن الله لا يؤخر شيئاً إذا جاء أجله وإنما زيادة العمر بالذرية الصالحة يرزقها الله العبد فيدعون له من بعده فيلحقه دعاؤهم في قبره فذلك زيادة العمر » . وقوله ( ويجعلون لله ما يكرهون ) أى من البنات ومن الشركاء الذين هم عبده وهم يأثفون أن يكون عند أحدهم شريك له في ماله وقوله ( وتصف ألسنتهم الكذب أن لهم الحسنى ) إنكار عليهم فى دعواهم مع ذلك أن لهم الحسنى فى الدنيا وإن كان ثم معاد ففيه أيضاً لهم الحسنى وإخبار عن قيل من قال منهم كقوله ( ولئن أذقتنا الإنسان منا رحمة ثم نزعناها منه إنه ليثوس كفور \* ولئن أذقناه نعماء بعد ضراء مسته ليقولن ذهب السيئات عني إنه لفرح فخور ) وكقوله ( ولئن أذقناه رحمة منا من بعد ضراء مسته ليقولن هذا لى وما أظن الساعة قائمة ولئن رجعت إلى ربي إن لى عنده للحسنى فلننبئن الذين كفروا بما عملوا ولنذيقنهم من عذاب غليظ ) وقوله ( أفرايت الذى كفر بآياتنا وقال لأوتين مالا وولداً ) وقال إخباراً عن أحد الرجلين أنه ( ١ ) دخل جنته وهو ظالم لنفسه قال ما أظن أن تبيد هذه أبداً \* وما

أظن الساعة قائمة ولئن رددت إلى ربي لأجدن خيرا منها منقلبا) فجمع هؤلاء بين عمل السوء وتمنى الباطل بأن يجازوا على ذلك حسنا وهذا مستحيل ، كما ذكر ابن إسحق أنه وجد حجر في أساس الكعبة حين تقضوها ليجددوها مكتوب عليه حكم مواعظ ، فمن ذلك : تعملون السيئات وتجزون الحسنات ؟ أجل كما يحتج من الشوك العنب . وقال مجاهد وقتادة ( وتصف ألسنتهم الكذب أن لهم الحسنى ) أى الغلمان وقال ابن جرير ( أن لهم الحسنى ) أى يوم القيامة كما قدمنا بيانه وهو الصواب والله الحمد ، ولهذا قال تعالى رادا عليهم فى تمنيهـم ذلك ( لا جرم ) أى حقالابد منه ( أن لهم النار ) أى يوم القيامة ( وأنهم مفرطون ) قال مجاهد وسعيد بن جبیر وقتادة وغيرهم منسيون فيها مضيعون وهذا كقوله تعالى ( فالיום ننسأهم كما نسوا لقاء يومهم هذا ) وعن قتادة أيضا مفرطون أى معجلون إلى النار من الفرط وهو السابق إلى الورد ولا منافاة لأنهم يعجل بهم يوم القيامة إلى النار وينسون فيها أى يخلدون

﴿ تَأْتِيهِمْ لِقَائِهِمْ فَسَبَحُوا عَلَىٰ آلِهِمْ فَكَرَّ سِيْرُهُمْ ذُكِّرُوا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ \* وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ \* وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴾

يذكر تعالى أنه أرسل إلى الأمم الخالية رسلا فكذبت الرسل فلك يا محمد فى إخوانك من المرسلين أسوة فلا بهيدنك تكذيب قومك لك ، وأما المشركون الذين كذبوا الرسل فإنما حملهم على ذلك تزيين الشيطان لهم مفاعوه . ( فهو وليهم اليوم ) أى هم تحت العقوبة والنكال والشيطان وليهم ولا يملك لهم خلاصا ولا صريح لهم ولهم عذاب أليم . ثم قال تعالى لرسوله إنه إنما أنزل عليه الكتاب ليبين للناس الذى يختلفون فيه فالقرآن فاصل بين الناس فى كل ما يتنازعون فيه ( وهدى ) أى للقلوب ( ورحة ) أى لمن تمسك به ( لقوم يؤمنون ) وكما جعل سبحانه القرآن حياة للقلوب الميتة بكفرها كذلك يحيى الأرض بعد موتها بما أنزله عليها من السماء من ماء ( إن فى ذلك لآية لقوم يسمعون ) أى يفهمون الكلام ومعناه

﴿ وَإِنْ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةٌ لِّسَيِّئِمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبْنَا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ \* وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾

يقول تعالى ( وإن لكم ) أيها الناس ( فى الأنعام ) وهى الإبل والبقر والغنم ( لعبرة ) أى آية ودلالة على حكمة خالقها وقدرته ورحمته ولفظه ( نسقيكم مما فى بطونه ) أفردته ههنا عودا على معنى النعم أو الضمير عائد على الحيوان فان الأنعام حيوانات أى نسقيكم مما فى بطن هذا الحيوان ، وفى الآية الأخرى مما فى بطونها ويجوز هذا وهذا كما فى قوله تعالى ( كلا إنها تذكرة فمن شاء ذكره ) وفى قوله تعالى ( وإنى مرسلت إليهم بهدية فناظرة بم يرجع المرسلون \* فلما جاء سليمان ) أى المال ، وقوله ( من بين فرث ودم لبنا خالصا ) أى يتخلص الدم بياضه وطعمه وحلاوته من بين فرث ودم فى بطن الحيوان فيسرى كبل إلى موطنه إذا نضج الغذاء فى معدته فيصرف منه دم إلى العروق ولبن إلى الضرع وبول إلى المثانة وروت إلى المخرج وكل منها لا يشوب الآخر ولا يمازجه بعد انفصاله عنه ولا يتغير به ، وقوله لبنا خالصا سائغا للشاربين ) أى لا يعص به أحد ، ولما ذكر اللبن وأنه تعالى جعله شرابا للناس سائغا نثى بذكر ما يتخذنه الناس من الأشربة من ثمرات النخيل والأعقاب وما كانوا يصنعون من النبيذ المسكر قبل تحريمه ، ولهذا امتن به عليهم فقال ( ومن ثمرات النخيل والأعقاب تتخذون منه سكرأ ) دل على إباحته شرعا قبل تحريمه ودل على التسوية بين المسكر المتخذ من النخل والمتخذ من العنب كما هو مذهب مالك والشافعى وأحمد وجمهور العلماء ، وكذا حكم سائر الأشربة المتخذة من الحنطة والشعير والذرة والعسل كما جاءت السنة بتفصيل ذلك ، وليس هذا موضع بسط

ذلك كما قال ابن عباس في قوله (سكرا ورزقا حسنا) السكر ما حرم من ثمرتهما والرزق الحسن ما أحل من ثمرتهما وفي رواية السكر حرامه والرزق الحسن حلاله يعني ما يبس منهما من تمر وزبيب وما عمل منهما من طلاء وهو الدبس وخل ونبيد حلال يشرب قبل أن يشتد كما وردت السنة بذلك (إن في ذلك لآية لقوم يعقلون) ناسب ذكر العقل ههنا فإنه أشرف ما في الانسان ولهذا حرم الله على هذه الأمة الأشربة المسكرة صيانة لعقولها قال الله تعالى (وجعلنا فيها حنات من نخيل وأعناب وفجرنا فيها من العيون لياكلوا من ثمره وما عملته أيديهم أفلا يشكرون \* سبحان الذي خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ومن أنفسهم وما لا يعلمون)

﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ \* ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكَ ذُلًّا يُخْرِجُ مِنْ بَطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْتَبِرُونَ ﴾

المراد بالوحي هنا الالهام والهداية والارشاد للنحل أن تتخذ من الجبال بيوتاً تأوى إليها ، ومن الشجر ومما يعرشون ثم هي محكمة في غاية الاتقان في تسديسها ورسها بحيث لا يكون في بيتها خلل ثم أذن لها تعالى إذنا قدرنا تسخيرياً أن تأكل من كل الثمرات ، وأن تسلك الطرق التي جعلها الله تعالى مدلة لها أي مسهلة عليها حيث شاءت من هذا الجوال العظيم والبراري الشاسعة والأودية والجبال الشاهقة ثم تعود كل واحدة منها إلى بيتها لا تحيد عنه عنق ولا يسرة بل إلى بيتها وما لها فيه من فرائح وعسل فتبني الشمع من أجنتها وتقي العسل من فيها وتبيض الفرائح من دبرها ثم تصبح إلى مراعيها ، وقال قتادة وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم (فاسلكي سبل ربك ذللاً) أي مطيعة فجعلاه حالاً من السالكة ، قال ابن زيد وهو كقول الله تعالى (وذللناها لهم فمنها ركوبهم ومنها يأكلون) قال : ألا ترى أنهم يتقلون النحل بيوتهم من بلد إلى بلد وهو يصحبهم ، والقول الأول هو الأظهر وهو أنه حال من الطريق أي فاسلكيها مدلة لك ، نص عليه مجاهد ، وقال ابن جرير كلا القولين صحيح ، وقد قال أبو يعلى الموصلي حدثنا شيبان بن فروخ حدثنا مكين بن عبد العزيز عن أبيه عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ « عمر النداب أربعون يوماً ، والنداب كله في النار إلا النحل » وقوله تعالى (يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس) ما بين أبيض وأصفر وأحمر وغير ذلك من الألوان الحسنة على اختلاف مراعيها وما كلفها منها . وقوله (فيه شفاء للناس) أي في العسل شفاء للناس أي من أدواء تعرض لهم ، قال بعض من تكلم على الطب النبوي لوقال فيه الشفاء للناس كان دواء لكل داء ولكن قال فيه شفاء للناس أي يصلح لكل أحد من أدواء باردة فانه حار والشئ يداوى بضده ، وقال مجاهد وابن جرير في قوله (فيه شفاء للناس) يعني القرآن وهذا قول صحيح في نفسه ولكن ليس هو الظاهر ههنا من سياق الآية فإن الآية إنما ذكر فيها العسل ولم يتابع مجاهد على قوله ههنا وإنما الذي قاله ذكره في قوله تعالى (وتنزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين) وقوله تعالى (يا أيها الناس قد جاءكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين) والدليل على أن المراد بقوله تعالى (فيه شفاء للناس) هو العسل. الحديث الذي رواه البخاري ومسلم في صحيحهما من رواية قتادة عن أبي المتوكل على بن داود الناجي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رجلاً جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال إن أخي استطلق بطنه فقال « اسقه عسلاً » فذهب فسقاه عسلاً ثم جاء فقال يا رسول الله سقيته عسلاً فما زاده إلا استطلاقاً ، قال « اذهب فاسقه عسلاً » فذهب فسقاه عسلاً ثم جاء فقال يا رسول الله ما زاده إلا استطلاقاً فقال رسول الله ﷺ « صدق الله وكذب بطن أخيك . اذهب فاسقه عسلاً » فذهب فسقاه عسلاً فبرئ . قال بعض العلماء بالطب كان هذا الرجل عنده فضلات فلما سقاه عسلاً وهو حار تحللت فأسرعت في الاندفاع فزاده إسهالاً فاعتقد الاعراب أن هذا يضره وهو مصلحة لأخيه ثم سقاه فزاد التحليل والدفع ثم سقاه فكذلك فلما

اندفعت الفضلات الفاسدة المضرّة بالبدن استمسك بطنه وصلح مزاجه واندفعت الأستقام والآلام بركة إشارته ، عليه من ربه أفضل الصلاة والسلام ، وفي الصحيحين من حديث هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ كان يعجبه الحلواء والعسل ، هذا لفظ البخاري . وفي صحيح البخاري من حديث سالم الأفيطس عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ « الشفاء في ثلاثة : في شرطة محجم ، أو شربة عسل ، أو كية بنار وأنهى أمتي عن الكي » وقال البخاري حدثنا أبو نعيم حدثنا عبد الرحمن بن الغسيل عن عاصم بن عمر ابن قتادة سمعت جابر بن عبد الله قال سمعت رسول الله ﷺ يقول « إن كان في شيء من أدويتكم أو يكون في شيء من أدويتكم خير : ففي شرطة محجم ، أو شربة عسل ، أو لعة بنار توافق الداء وما أحب أن أكتوى » ورواه مسلم من حديث عاصم بن عمر بن قتادة عن جابر بن عبد الله ، وقال الإمام أحمد حدثنا علي بن إسحاق أنبأنا عبد الله ، أنبأنا سعيد بن أبي أيوب ، حدثنا عبد الله بن الوليد عن أبي الخير عن عقبه بن عامر الجهني قال : قال رسول الله ﷺ « ثلاث إن كان في شيء شفاء : فشرطة محجم ، أو شربة عسل ، أو كية تصيب ألماً وأنا أكره الكي ولا أحبه » ورواه الطبراني عن هرون بن سلول المصري عن أبي عبد الرحمن المقرئ عن عبد الله بن الوليد به . ولفظه « إن كان في شيء شفاء : فشرطة محجم » وذكره وهذا إسناد صحيح ولم يخرجه وقال الإمام أبو عبد الله محمد بن يزيد بن ماجه القزويني في سننه حدثنا علي بن سلمة هو التغلي ، حدثنا زيد بن حباب ، حدثنا سفيان عن أبي إسحاق ، عن أبي الأحوص عن عبد الله هو ابن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ « عليكم بالشفاء من العسل والقرآن » وهذا إسناد جيد تفرد بإخراجه ابن ماجه مرفوعاً وقد رواه ابن جرير عن سفيان بن وكيع عن أبيه عن سفيان هو الثوري به موقوفاً وله شبه . وروينا عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال : إذا أراد أحدكم الشفاء فليكتب آية من كتاب الله في صحيفة وليغسلها بماء السماء وليأخذ من امرأته درهما عن طيب نفس منها فليشتر به عسلاً فليشربه كذلك فانه شفاء : أي من وجوه قال الله تعالى ( ونزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ) وقال ( وأنزلنا من السماء ماء مباركا ) وقال ( فإن طبن لكم عن شيء منه نفساً فكلوه هنيئاً مريئاً ) وقال في العسل ( فيه شفاء للناس ) وقال ابن ماجه أيضاً : حدثنا محمود بن خدّاش حدثنا سعيد بن زكريا القرشي حدثنا الزبير بن سعيد الهاشمي عن عبد الحميد بن سالم عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « من لعق العسل ثلاث غدوات في كل شهر لم يصبه عظيم من البلاء » الزبير بن سعيد متروك ، وقال ابن ماجه أيضاً حدثنا إبراهيم بن محمد بن يوسف بن سرح الفريابي حدثنا عمرو بن بكر السكسكي ، حدثنا إبراهيم ابن أبي عبله سمعت أبا أبي بن أم حرام وكان قد صلى القبليتين يقول سمعت رسول الله ﷺ يقول « عليكم بالسنا والسنوات فإن فهما شفاء من كل داء إلا السام » قيل يارسول الله وما السام ؟ قال « الموت » قال عمرو قال ابن أبي عبله السنوات الشبت وقال آخرون بل هو العسل الذي في زقاق السمّن وهو قول الشاعر :

هم السمّن بالسنوات لا لبس فيهم \* وهم يمنعون الجار أن يقردا

كذا رواه ابن ماجه ، وقوله لا لبس فيهم أي لا خلط وقوله يمنعون الجار أن يقردا أي يضطهد ويظلم وقوله ( إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون ) أي إن في الهام الله لهذه الدواب الضعيفة الحلقة إلى السلوك في هذه المهامه والاجتناء من مائر الثمار ثم جمعها للشمع والعسل وهو من أطيب الأشياء لآية لقوم يتفكرون في عظمة خالقها ومقدرها ومسخرها وميسرها فيستدلون بذلك على أنه الفاعل القادر الحكيم العليم الكريم الرحيم

﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴾

يخبر تعالى عن تصرفه في عباده وأنه هو الذي أنشأهم من العدم ثم بعد ذلك يتوفاهم ومهم من يتركه حتى يدركه الهرم وهو الضعف في الحلقة كما قال الله تعالى ( الله الذي خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ) الآية وقد روى

عن علي رضي الله عنه أرذل العمر خمس وسبعون سنة وفي هذا السن يحصل له ضعف القوى والحرف وسوء الحفظ وقلة العلم ولهذا قال لكيلا يعلم بعد علم شيئاً أى بعد ما كان عالماً أصبح لا يدري شيئاً من الفند والحرف ولهذا روى البخارى عند تفسير هذه الآية : حدثنا موسى بن إسماعيل : حدثنا هارون بن موسى أبو عبد الله الأعور عن شعيب عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ كان يدعو « أعوذ بك من البخل والكسل والهزم وأرذل العمر وعذاب القبر وفتنة الدجال وفتنة الحيا والميات » وقال زهير بن أبي سلمى في معانيه المشهورة

سئمت تكاليف الحياة ومن يعش \* ثمانين عاماً لا أملك يسأم  
وأيت الناي خبط عشواء من تصب \* تمته ومن تخطى يعمر فيهم

﴿ وَاللَّهُ فَضْلَ بَعْضِكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا بِرَأْدِي رِزْقِهِمْ عَلَىٰ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَهُمْ

فِيهِ سَوَاءٌ سِوَا مَا أَفْنَعِمَةَ اللَّهُ بِمُحَمَّدٍ ﴾

يبين تعالى للشركيين جهلهم وكفرهم فيما زعموه لله من الشركاء وهم يعترفون أنها عبيد له كما كانوا يقولون في تلبيتهم في حجهم : لبيك لا شريك لك إلا شريكاً هو لك تملكه وما ملك ، فقال تعالى منكراً عليهم أتم لا ترضون أن تساووا عبيدكم فيما رزقناكم فكيف يرضى هو تعالى بمساواة عبيده له في الإلهية والتعظيم كما قال في الآية الأخرى (ضرب لكم مثلاً من أنفسكم هل لكم مما ملكت أيمانكم من شركاء فيما رزقناكم فأتتم فيه سواء تخافونهم كخفيتكم أنفسكم ) الآية قال العوفي عن ابن عباس في هذه الآية يقول لم يكونوا ليشركوا عبيدهم في أموالهم ونسائهم فكيف يشركون عبيدي معي في سلطاني فذلك قوله ( أفنعممة الله بمحمدون ) وقال في الرواية الأخرى عنه فكيف ترضون لى مالا ترضون لأنفسكم ، وقال مجاهد في هذه الآية هذا مثل الآلهة الباطلة ، وقال قتادة هذا مثل ضربه الله فهل منكم من أحد يشاركه بمالوكه في زوجته وفي فراشه فتعدلون بالله خلقه وعباده ؟ فان لم ترض لنفسك هذا فالله أحق أن ينزهه منك ، وقوله ( أفنعممة الله بمحمدون ) أى أنهم جعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيباً فجحدوا نعمته وأشركوا معه غيره ، وعن الحسن البصرى قال كتب عمر بن الخطاب رضى الله عنه هذه الرسالة إلى أبي موسى الأشعري : واقنع برزقك من الدنيا فان الرحمن فضل بعض عباده على بعض في الرزق بلائ يبتلى به كلاب يبتلى من بسط له كيف شكره الله وأداؤه الحق الذى اقترض عليه فيما رزقه وخوله . رواه ابن أبي حاتم

﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ

أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴾

يذكر تعالى نعمه على عبيده بأن جعل لهم من أنفسهم أزواجاً من جنسهم وشكلهم ، ولو جعل الأزواج من نوع آخر ما حصل الائتلاف والمودة والرحمة ، ولكن من رحمته خلق من بنى آدم ذكوراً وإناثاً وجعل الإناث أزواجاً للذكور ، ثم ذكر تعالى أنه جعل من الأزواج البنين والحفدة وهم أولاد البنين قاله ابن عباس وعكرمة والحسن والضحاك وابن زيد قال شعبة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس وبنين وحفدة : وهم الولد وولد الولد . وقال سنيد حدثنا حجاج عن أبي بكر عن عكرمة عن ابن عباس قال : بنوك حيث يحفدونك ويرفدونك ويعينونك ويخدمونك : قال جميل حفد الولائد حولهن وأسلمت \* بأ كفهن أزمة الأجمال

وقال مجاهد بنين وحفدة : ابنه وخادمه . وقال في رواية . الحفدة الأنصار والأعوان والخدم ، وقال طاوس وغير واحد : الحفدة الخدم . وكذا قال قتادة وأبو مالك والحسن البصرى . وقال عبد الرزاق أنبأنا معمر عن الحكم ابن أبان عن عكرمة أنه قال : الحفدة من خدمك من ولدك وولد ولدك ، قال الضحاك : إنما كانت العرب تخدمها

بنوها وقال العوفي عن ابن عباس قوله ( وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة ) يقول بنو امرأة الرجل ليسوا منه ويقال الحفدة الرجل يعمل بين يدي الرجل . يقال فلان يحفد لنا أى يعمل لنا قال وزعم رجال أن الحفدة أختان الرجل ، وهذا الأخير الذى ذكره ابن عباس قاله ابن مسعود ومسروق وأبو الضحى وإبراهيم النخعي وسعيد بن جبير ومجاهد والقرظي ، ورواه عكرمة عن ابن عباس وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس هم الأصهار قال ابن جرير : وهذه الأقوال كلها داخلة فى معنى الحفدة وهو الخدمة الذى منه قوله فى القنوت : وإليك نسعى ونحفد ولما كانت الخدمة قد تكون من الأولاد والخدم والأصهار فالنعمة حاصلة بهذا كله ولهذا قال ( وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة ) قلت فمن جعل ( وحفدة ) متعلقاً بأزواجكم فلا بد أن يكون المراد الأولاد وأولاد الأولاد أو الأصهار لأنهم أزواج البنات أو أولاد الزوجة وكذا قال الشعبي والضحاك فإنهم يكونون غالباً تحت كف الرجل وفى حجره وفى خدمته وقد يكون هذا هو المراد من قوله عليه الصلاة والسلام فى حديث نضرة بن أكرم « والولد عبد لك » رواه أبو داود . وأما من جعل الحفدة الخدم فعنده أنه معطوف على قوله ( والله جعل لكم من أنفسكم أزواجاً ) أى جعل لكم الأزواج والأولاد خدماً وقوله ( ورزقكم من الطيبات ) أى من الطاعم والمشرب ثم قال تعالى منكراً على من أشرك فى عبادة النعم غيره ( أقبالباطل يؤمنون ) وهم الأنداد والأصنام ( وبنعمة الله هم يكفرون ) أى يسترون نعم الله عليهم ويضيفونها إلى غيره . وفى الحديث الصحيح « إن الله يقول للعبد يوم القيامة ممثنا عليه ألم أزوجك؟ ألم أكرمك؟ ألم أسخر لك الخيل والإبل وأذرك ترأس وتربع؟ »

﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ شَيْئًا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ \* فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾

يقول تعالى إخباراً عن المشركين الذين عبدوا معه غيره مع أنه هو النعم المتفضل الخالق الرازق وحده لا شريك له ومع هذا يعبدون من دونه من الأصنام والأنداد والأوثان ما لا يملك لهم رزقاً من السموات والارض شيئاً أى لا يقدر على إنزال مطر ولا إنبات زرع ولا شجر ولا يملكون ذلك لأنفسهم أى ليس لهم ذلك ولا يقدرون عليه لو أرادوه ولهذا قال تعالى ( فلا تضربوا لله الأمثال ) أى لا تجعلوا له أنداداً وأشباهاً وأمثالا ( إن الله يعلم وأنتم لا تعلمون ) أى انه يعلم ويشهد أنه لا إله إلا هو وأنتم تجهلون به غيره

﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَّمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَمَن رَزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُونَ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾

قال العوفي عن ابن عباس . هذا مثل ضرب به الله للكافر والمؤمن وكذا قال قتادة واختاره ابن جرير فالعبد المملوك الذى لا يقدر على شىء مثل الكافر والمرزوق الرزق الحسن فهو ينفق منه سرا وجهرا هو المؤمن وقال ابن أبي نجيح عن مجاهد : هو مثل مضروب للوثن وللحق تعالى فهل يستوى هذا وهذا ؟ ولما كان الفرق بينهما ظاهراً واضحاً بينا لا يجهره إلا كل غبي قال الله تعالى ( الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون )

﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾

قال مجاهد وهذا أيضاً المراد به الوثن والحق تعالى يعنى أن الوثن أبكم لا يتكلم ولا ينطق بخير ولا بشىء ولا يقدر على شىء بالسكينة فلا مقال ولا فعال وهو مع هذا كل أى عيال وكلفة على مولاه ( أينما يوجهه ) أى يبشئه ( لا يأت

بخير) ولا ينجح مسعاه (هل يستوى) من هذه صفاته (ومن يأمر بالعدل) أى بالقسط فمقاله حق وفعاله مستقيمة (وهو على صراط مستقيم) وقيل الأبكم مولى لعثمان وبهذا قال السدى وقتادة وعطاء الخراسانى واختار هذا القول ابن جرير . وقال العوفى عن ابن عباس هو مثل للكافر والمؤمن أيضاً كما تقدم وقال ابن جرير حدثنا الحسن بن الصباح البزار حدثنا يحيى بن إسحق السالحي حدثنا حماد حدثنا عبد الله بن عثمان بن خثيم عن إبراهيم عن عكرمة عن يعلى بن أمية عن ابن عباس فى قوله (ضرب الله مثلاً عبداً مملوكاً لا يقدر على شيء) قال نزلت فى رجل من قريش وعبدته يعنى قوله (عبداً مملوكاً) الآية وفى قوله (وضرب الله مثلاً رجلين أحدهما أبكم - إلى قوله - وهو على صراط مستقيم) قال هو عثمان بن عفان ، قال والأبكم الذى أينا يوجهه لا يأت بخير قال هو مولى لعثمان بن عفان كان عثمان ينفق عليه ويكلفه ويكفيه المؤونة وكان الآخر يكره الإسلام ويأباه وينهاه عن الصدقة والمعروف فنزلت فيهما

﴿ وَاللَّهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمَحٍ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ \* وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ مَهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئاً وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ \* أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوْاءِ السَّمَاءِ مَا يُمَسِّكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾

يخبر تعالى عن كمال علمه وقدرته على الأشياء فى علمه غيب السموات والأرض واختصاصه بعلم الغيب فلا اطلاع لأحد على ذلك إلا أن يطلعه تعالى على ما يشاء وفى قدرته التامة التى لا تخالف ولا تمنع وأنه إذا أراد شيئاً فاعما يقول له كن فيكون كما قال (وما أمرنا إلا واحدة كلمح بالبصر) أى فيكون ما يريد كطرف العين وهكذا قال ههنا (وما أمر الساعة إلا كلمح البصر أو هو أقرب إن الله على كل شيء قدير) كما قال (ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة) ثم ذكر تعالى منته على عباده فى إخراجهم من بطون أمهاتهم لا يعلمون شيئاً ثم بعدهما يرزقهم السمع الذى به يدركون به الأصوات والأبصار التى بها يحسون الرغبات والأفئدة وهى العقول التى مركزها القلب على الصحيح وقيل الدماغ والعقل به يميز بين الأشياء ضارها ونافعها وهذه القوى والحواس تحصل للانسان على التدرج قليلاً قليلاً كلما كبر زيد فى سمعه وبصره وعقله حتى يبلغ أشده . وإنما جعل تعالى هذه فى الإنسان لئتمكّن بها من عبادة ربه تعالى فيستعين بكل جارحة وعضو وقوة على طاعة مولاه كما جاء فى صحيح البخارى عن أبى هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « يقول تعالى : من عادى لى وليا فقد بارزنى بالحرب ، وما تقرب إلى عبدى بشيء أفضل من أداء ما افترضت عليه ولا يزال عبدى يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به ويده التى يبطش بها ورجله التى يمشى بها ولئن سألنى لأعطينه ولئن دعانى لأجيبه ولئن استعاذنى لأعيننه ، وما ترددت فى شيء أنا فاعله ترددى فى قبض نفس عبدى المؤمن يكره الموت وأكره مساءته ولا بد له منه» فمعنى الحديث أن العبد إذا أخلص الطاعة صارت أفعاله كلها لله عزوجل فلا يسمع إلا لله ولا يبصر إلا لله أى ما شرعه الله له ولا يبطش ولا يمشى إلا فى طاعة الله عزوجل مستعيناً بالله فى ذلك كله ولهذا جاء فى بعض رواية الحديث فى غير الصحيح بعد قوله ورجله التى يمشى بها « فى يسمع وبصر وبى يبطش وبى يمشى » ولهذا قال تعالى (وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون) كقوله تعالى فى الآية الأخرى (قل هو الذى أنشأكم وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلاً ما تشكرون) \* قل هو الذى ذرأكم فى الأرض وإليه تحشرون) ثم نبه تعالى عباده إلى النظر إلى الطير المسخر بين السماء والأرض كيف جعله يطير بجناحين بين السماء والأرض فى جو السماء ما يمسكه هناك إلا الله بقدرته تعالى التى جعل فيها قوى تفعل ذلك وسحر الهواء يحملها وبسير الطير كذلك كما قال تعالى فى سورة الملك (أولم يروا إلى الطير فوقهم صافات ويقبضن ما يمسكهن إلا الرحمن إنه بكل شيء بصير) وقال ههنا (إن فى ذلك لآيات لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ)

﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَمِنَكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَابِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثْنَا وَمِئَةً إِلَىٰ حِينٍ \* وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ ظِلَالًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ كَذَلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ \* فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلْغُ الْمُبِينُ \* يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ ﴾

يذكر تبارك وتعالى تمام نعمه على عبده بما جعل لهم من البيوت التي هي سكن لهم يأوون إليها ويستترون بها ويتنعمون بها بسائر وجوه الانتفاع ، وجعل لهم أيضاً من جلود الأنعام بيوتاً أي من الأدم يستخفون حملها في أسفارهم ليضربوها لهم في إقامتهم في السفر والحضر . ولهذا قال ( تستخفونها يوم ظعنكم ويوم إقامتكم ومن أصوافها ) أي الغنم ( وأوبارها ) أي الإبل ( وأشعارها ) أي العز ، والضمير عائد على الأنعام ( أثناً ) أي تتخذون منه أثناً وهو المال وقيل المناع وقبل الثياب ، والصحيح أعم من هذا كله فإنه يتخذ من الأساس البسط والثياب وغير ذلك ويتخذ مالا وتجارة ، وقال ابن عباس: الأثاث المناع ، وكذا قال مجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير والحسن وعطية العوفي وعطاء الخراساني والضحاك وقتادة ، وقوله ( إلى حين ) أي إلى أجل مسمى ووقت معلوم وقوله ( والله جعل لكم مما خلق ظلالاً ) قال قتادة يعني الشجر ( وجعل لكم من الجبال أكناناً ) أي حصوناً ومعاقل كما ( جعل لكم سراويل تقيكم الحر ) وهي الثياب من القطن والكتان والصوف ( وسراويل تقيكم بأسكم ) كالسروع من الحديد الصفح والزررد وغير ذلك ( كذلك يتم نعمته عليكم ) أي هكذا يجعل لكم ما تستعينون به على أمركم وما تحتاجون إليه ليكون عوناً لكم على طاعته وعبادته ( لعلمكم تسلمون ) هكذا فسره الجمهور وقروه بكسر اللام من تسلمون أي من الإسلام ، وقال قتادة في قوله ( كذلك يتم نعمته عليكم ) هذه السورة تسمى سورة النعم ، وقال عبدالله بن المبارك وعباد بن العوام عن حنظلة السدوسي عن شهر بن حوشب عن ابن عباس أنه كان يقرؤها ( تسلمون ) بفتح اللام يعني من الجراح رواه أبو عبيد القاسم بن سلام عن عباد وأخرجه ابن جرير من الوجهين ورد هذه القراءة وقال عطاء الخراساني إنما نزل القرآن على قدر معرفة العرب ألا ترى إلى قوله تعالى ( والله جعل لكم مما خلق ظلالاً وجعل لكم من الجبال أكناناً ) وما جعل من السهل أعظم وأكثروا ولكنهم كانوا أصحاب جبال ؟ ألا ترى إلى قوله ( ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها أثناً ومتاعاً إلى حين ) وما جعل لهم من غير ذلك أعظم وأكثروا ولكنهم كانوا أصحاب وبر وشعر ؟ ألا ترى إلى قوله ( وينزل من السماء من جبال فيها من برد ) لعجبهم من ذلك وما أنزل من الثلج أعظم وأكثروا ولكنهم كانوا لا يعرفونه ؟ ألا ترى إلى قوله تعالى ( سراويل تقيكم الحر ) وما تم من البرد أعظم وأكثروا ولكنهم كانوا أصحاب حر ، وقوله ( فان تولوا ) أي بعد هذا البيان وهذا الامتنان فلا عليك منهم ( فانما عليك البلاغ المبين ) وقد أدبته إليهم ( يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها ) أي يعرفون أن الله تعالى هو المسدي إليهم ذلك وهو المتفضل به عليهم ومع هذا ينكرون ذلك ويعبدون معه غيره ويسندون النصر والرزق إلى غيره ( وأكثروا الكافرون ) كما قال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا صفوان حدثنا الوليد حدثنا عبد الرحمن بن يزيد بن جابر عن مجاهد أن أعرابياً أتى النبي ﷺ فسأله فقرأ عليه رسول الله ﷺ ( والله جعل لكم من بيوتكم سكناً ) فقال الأعرابي نعم ، قال ( وجعل لكم من جلود الأنعام بيوتاً ) الآية قال الأعرابي نعم ، ثم قرأ عليه كل ذلك يقول الأعرابي نعم حتى بلغ ( كذلك يتم نعمته عليكم لعلمكم تسلمون ) فولى الأعرابي فأنزل الله ( يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها ) الآية

﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ \* وَإِذَارَةُ الَّذِينَ ظَلَمُوا الْعَذَابَ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ \* وَإِذَارَةُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا شُرَكَاءَهُمْ قَالُوا رَبَّنَا هُوَ لَوْلَا شُرَكَائُنَا

الَّذِينَ كُنَّا نَدْعُو مِنْ دُونِكَ فَأَلْقَوْا إِلَيْهِمُ الْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَاذِبُونَ \* وَأَلْقَوْا إِلَى اللَّهِ يَوْمَئِذٍ السَّلَامَ وَصَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ \* الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ ﴿

يخبر تعالى عن شأن المشركين يوم معادهم في الدار الآخرة وأنه يبعث من كل أمة شهيدا وهو نبيها يشهد عليها بما أجاوبته فيها بلغها عن الله تعالى ( ثم لا يؤذن للذين كفروا ) أى في الاعتذار لأنهم يعلمون بطلانه وكذبه كقوله ( هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون ) فلماذا قال ( ولا هم يستعتبون \* وإذا رأى الذين ظلموا ) أى الذين أشركوا ( العذاب فلا يخفف عنهم ) أى لا يفتر عنهم ساعة واحدة ( ولا هم ينظرون ) أى لا يؤخر عنهم بل يأخذهم سريعا من الموقف بلا حساب فإنه إذا جرى بجهم تقاد بسبعين ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك فيشرف عنق منها على الخلائق وتزفر زفرة لا يبقى أحد إلا جثا لركبته فتقول إني وكلت بكل جبار عنيد الذي جعل مع الله إلها آخر وبكذا وبكذا وتذكر أصنافا من الناس كما جاء في الحديث ، ثم تنطوى عليهم وتلقطهم من الموقف كما يلتقط الطائر الحب قال الله تعالى ( إذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا وزفيرا ، وإذا ألقوا منها مكانا ضيقا مقرنين دعوا هنالك ثبورا ، لا تدعوا اليوم ثبورا واحدا وادعوا ثبورا كثيرا ) وقال تعالى ( ورأى المجرمون النار فظنوا أنهم مواقعوها ولم يجدوا عنها مصرفا ) وقال تعالى ( لو يعلم الذين كفروا حين لا يكفون عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم ولا هم ينصرون \* بل تأتهم بغتة فتحتمهم فلا يستطيعون ردها ولا هم ينظرون ) ، ثم أخبر تعالى عن تبرى آلهتهم منهم أحوجا ما يكونون إليها فقال ( وإذ رأى الذين أشركوا شركاءهم ) أى الذين كانوا يعبدونهم في الدنيا ( قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين كنا ندعوا من دونك \* فآلقوا إليهم القول إنكم لكاذبون ) أى قالت لهم الآلهة كذبتم ما نحن أمرناكم بعبادتنا كما قال تعالى ( ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون \* وإذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين ) وقال تعالى ( واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزا \* كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدا ) وقال الخليل عليه الصلاة والسلام ( ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ) الآية وقال تعالى ( وقيل ادعوا شركاءكم ) الآية ، والآيات في هذا كثيرة .

وقوله ( وألقوا إلى الله يومئذ السلم ) قال قتادة وعكرمة ذلوا واستسلموا يومئذ أى استسلموا لله جميعهم فلا أحد إلا سامع مطيع ، وكقوله ( أجمع بهم وأبصر يوم يأتوننا ) أى ما أجمعهم وما أبصرهم يومئذ وقال ( ولو ترى إذ المجرمون ناكسوا رؤوسهم عند ربهم ربنا أبصرنا وسمعنا ) الآية وقال ( وعنت الوجوه للحى القيوم ) أى خضعت وذلت واستكانت وأنابت واستسلمت ، وقوله ( وألقوا إلى الله يومئذ السلم وصل عنهم ما كانوا يفترون ) أى ذهب واضمححل ما كانوا يعبدونه افتراء على الله فلا ناصر لهم ولا معين ولا مجير . ثم قال تعالى ( الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا ) الآية أى عذابا على كفرهم وعذابا على صددهم الناس عن اتباع الحق كقوله تعالى ( وهم يهون عنه وينأون عنه ) أى يهون الناس عن اتباعه ويتعدون هم منه أيضاً ( وإن يهلكون إلا أنفسهم وما يشعرون ) وهذا دليل على تفاوت الكفار في عذابهم كما يتفاوت المؤمنون في منازلهم في الجنة ودرجاتهم كما قال تعالى ( قال لكل ضعف ولكن لا تعلمون ) وقد قال الحافظ أبو يعلى حدثنا سريج بن يونس حدثنا أبو معاوية حدثنا الأعمش عن عبد الله ابن مرة عن مسروق عن عبد الله في قول الله ( زدناهم عذابا فوق العذاب ) قال زيدوا عقارب أنيابها كالخيل الطوال . وحدثنا سريج بن يونس حدثنا إبراهيم بن سليمان حدثنا الأعمش عن الحسن بن ابن عباس في الآية أنه قال ( زدناهم عذابا فوق العذاب ) قال هي حمسة أنهار تحت العرش يعذبون ببعضها في الليل وبعضها في النهار

﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَؤُلَاءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ

الْكِتَابِ تَبَيَّنًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهَدَىٰ وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِّلْمُسْلِمِينَ ﴿

يقول تعالى مخاطباً عبده ورسوله محمداً ﷺ ( ويوم نبعث في كل أمة شهيداً عليهم من أنفسهم وجننا بك شهيداً على هؤلاء ) يعني أمتك ، أى اذكر ذلك اليوم وهوله وما منحك الله فيه من الشرف العظيم والمقام الرفيع ، وهذه الآية شبيهة بالآية التي انتهى إليها عبد الله بن مسعود حين قرأ على رسول الله صلى الله عليه وسلم صدر سورة النساء فلما وصل إلى قوله ( فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجننا بك على هؤلاء شهيداً ) فقال له رسول الله ﷺ « حسبك » فقال ابن مسعود رضى الله عنه فالتفت فإذا عيناه تذرفان وقوله ( ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء ) قال ابن مسعود قد بين لنا في هذا القرآن كل علم وكل شيء ، وقال مجاهد كل حلال وكل حرام ، وقول ابن مسعود أعم وأشمل فإن القرآن اشتمل على كل علم نافع من خبر ما سبق وعلم ما سيأتى وكل حلال وحرام وما الناس اليه محتاجون في أمر دنياهم ودينهم ومعاشهم ومعادهم ( وهدى ) أى للقلوب ( ورحمة وبشرى للمسلمين ) وقال الأوزاعي ( ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء ) أى بالسنة ، ووجه اقتران قوله ( ونزلنا عليك الكتاب ) مع قوله ( وجننا بك شهيداً على هؤلاء ) أن المراد والله أعلم إن الذى فرض عليك تبليغ الكتاب الذى أنزله عليك سائلك عن ذلك يوم القيامة ( فلنسالن الدين أرسل إليهم ولنسالن المرسلين ) ( فوربك لنسالنهم أجمعين عما كانوا يعملون ) ( يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتم قالوا لا علم لنا إنك أنت علام الغيوب ) وقال تعالى ( إن الذى فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد ) أى إن الذى أوجب عليك تبليغ القرآن لرادك إليه ومعيدك يوم القيامة وسائلك عن أداء ما فرض عليك . هذا أحد الأقوال وهو متجه حسن

﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾

يخبر تعالى أنه يأمر بالعدل وهو القسط والموازنة ويندب إلى الإحسان كقوله تعالى ( وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين ) وقوله ( وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفا وأصلح فأجره على الله ) وقال ( والجروح قصاص فمن تصدق به فهو كفارة له ) إلى غير ذلك من الآيات الدالة على شرعية العدل والندب إلى الفضل ، وقال على بن أبى طلحة عن ابن عباس : ( إن الله يأمر بالعدل ) قال شهادة أن لا إله إلا الله ، وقال سفيان بن عيينة العدل فى هذا الموضع هو استواء السريرة والعلاية من كل عامل لله عملاً ، والإحسان أن تكون سريرته أحسن من علانيته والفحشاء والمنكر أن تكون علانيته أحسن من سريرته ، وقوله ( وإيتاء ذى القربى ) أى يأمر بصلة الأرحام كما قال ( وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبريراً ) وقوله ( وينهى عن الفحشاء والمنكر ) فالفواحش المحرمات والمنكرات مظهر منها من فاعلها ، ولهذا قال فى الموضع الآخر ( قل إنما حرم ربه الفواحش ما ظهر منها وما بطن ) وأما البغى فهو العدوان على الناس ، وقد جاء فى الحديث « ما من ذنب أجدر أن يجعل الله عقوبته فى الدنيا مع ما يدخر لصاحبه فى الآخرة من البغى وقطعية الرحم » وقوله ( يعظكم ) أى يأمركم بما يأمركم به من الخير وينهاكم عما ينهاكم عنه من الشر ( لعلمكم تذكرون ) وقال الشعبي عن بشر بن نهيك سمعت ابن مسعود يقول : إن أجمع آية فى القرآن فى سورة النحل ( إن الله يأمر بالعدل والإحسان ) الآية رواه ابن جرير ، وقال سعيد بن قتادة قوله ( إن الله يأمر بالعدل والإحسان ) الآية ليس من خلق حسن كان أهل الجاهلية يعملون به ويستحسنونه إلا أمر الله به وليس من خلق سيء كانوا يتعابرونه بينهم إلا نهى الله عنه وقدم فيه . وإنما نهى عن سفاسف الأخلاق ومذامها [ قلت ] ولهذا جاء فى الحديث « إن الله يحب معالى الأخلاق ويكره سفاسفها » وقال الحافظ أبو يعلى فى كتاب معرفة الصحابة حدثنا أبو بكر محمد بن الفتح الحنبلى حدثنا يحيى بن محمد مولى بنى هاشم حدثنا الحسن بن داود النكدرى حدثنا عمر بن على بن المقدمى عن على بن عبد الملك بن عمير عن أبيه قال : بلغ أكنهم بن صبيح مخرج النبي ﷺ فاراد أن يأتيه فأبى قومه أن يدعوه وقالوا : أنت كبيرنا لم تكن لتتحف إليه قال فليأتته من ييلغه عنى ويبلغنى عنه فأتى بجرلان

فأتيا النبي ﷺ فقالا نحن نرسل أكرم بن صيفي وهو يسألك من أنت وما أنت؟ فقال النبي ﷺ « أما من أنا فأنا محمد بن عبد الله وأما ما أنا فأنا عبد الله ورسله » قال ثم تلا عليهم هذه الآية (إن الله يأمر بالعدل والإحسان) الآية قالوا ردد علينا هذا القول فردده عليهم حتى حفظوه فأتيا أكرم فقالا أبي أن يرفع نسبه فسالنا عن نسبه فوجدناه زاكى النسب وسطا في مضر - أوى شريفا - وقد رمى إلينا بكلمات قد سمعناها فلما سمعنا أكرم قال: إني أراه يأمر بمكارم الأخلاق وينهى عن ملامتها فكونوا في هذا الأمر رؤسا ولا تكونوا فيه أذنا وقد ورد في نزولها حديث حسن رواه الإمام أحمد حدثنا أبو النضر حدثنا عبد الحميد حدثنا شهر حدثني عبد الله بن عباس قال بينما رسول الله ﷺ بفاء بيته جالس إذ مر به عثمان ابن مظعون فكشركم إلى رسول الله ﷺ فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم « ألا تجلس ؟ » فقال بلى قال فجلس رسول الله ﷺ مستقبلا فيينا هو يحدثه إذ شخص رسول الله صلى الله عليه وسلم بيصره إلى السماء فنظر ساعة إلى السماء فأخذ يضع بصره حتى وضعه على يمينه في الأرض فتحرف رسول الله ﷺ عن جلسه عثمان إلى حيث وضع بصره فأخذ ينفض رأسه كأنه يستنفضه ما يقال له وابن مظعون ينظر فلما قضى حاجته واستنفضه ما يقال له شخص بصر رسول الله ﷺ إلى السماء كما شخص أول مرة فأتبعه بصره حتى تورى إلى السماء فأقبل إلى عثمان بجلسته الأولى فقال يا محمد فيما كنت أجالسك ما رأيتك تفعل كفعلك الغداة فقال « وما رأيتني فعلت ؟ » قال رأيتك شخص بصرك إلى السماء ثم وضعته حيث وضعته على يمينك فتحرفت إليه وتركتني فأخذت تنفض رأسك كأنك تستنفضه شيئا يقال لك قال « وفطنت لذلك ؟ » فقال عثمان نعم قال رسول الله ﷺ « أتاني رسول الله آتيا وأنت جالس » قال رسول الله ؟ قال « نعم » قال فما قال لك قال « إن الله يأمر بالعدل والإحسان » الآية قال عثمان فذلك حين استقر الإيمان في قلبي وأحببت محمدا ﷺ ، إسناد جيد متصل حسن قديين فيه السماع المنصل ورواه ابن أبي حاتم من حديث عبد الحميد بن بهرام مخرجا ، حديث آخر عن عثمان بن أبي العاص الثقفي في ذلك قال الإمام أحمد حدثنا أسود بن عامر حدثنا هريم عن ليث عن شهر بن حوشب عن عثمان بن أبي العاص قال: كنت عند رسول الله ﷺ جالسا إذ شخص بصره فقال « أتاني جبريل فأمرني أن أضع هذه الآية بهذا الموضع من هذه السورة ( إن الله يأمر بالعدل والإحسان ) » الآية وهذا إسناد لا بأس به ولعله عند شهر بن حوشب من الوجهين والله أعلم .

﴿ وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِي نَقَضَتْ غَزَلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَمَا تَخَذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللَّهُ بِهِ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿

هذا مما يأمر الله تعالى به وهو الوفاء بالعهود والمواثيق والمحافظة على الأيمان المؤكدة ولهذا قال ( ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها ) ولا تعارض بين هذا وبين قوله ( ولا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم ) الآية وبين قوله تعالى ( ذلك كفارة أيمانكم إذا حلفتم واحفظوا أيمانكم ) أي لا تركوها بلا كفارة وبين قوله عليه السلام فيما ثبت عنه في الصحيحين أنه عليه الصلاة والسلام قال « إني والله إن شاء الله لا أحلف على يمين فأرى غيرها خيرا منها إلا أتيت الذي هو خير وتحملتها - وفي رواية - وكفرت عن يميني » لا تعارض بين هذا كله ولا بين الآية المذكورة ههنا وهي قوله ( ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها ) لأن هذه الأيمان المراد بها الداخلة في العهود والمواثيق لا الأيمان التي هي واردة على حث أو منع ولهذا قال مجاهد في قوله ( ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها ) يعني الحلف أي حلف الجاهلية . ويؤيده ما رواه الإمام أحمد حدثنا عبد الله بن محمد - هو ابن أبي شيبه - حدثنا ابن عمير وأبو أسامة عن زكريا - هو ابن أبي زائدة - عن سعد بن إبراهيم عن أبيه عن جبير بن مطعم قال : قال رسول الله ﷺ « لا حلف في الإسلام وأيما حلف كان في الجاهلية فانه لا يزيد الإسلام إلا شدة » وكذا رواه مسلم عن ابن أبي شيبه به ومعناه

أن الإسلام لا يحتاج معه إلى الحلف الذي كان أهل الجاهلية يفعلونه فإن في التمسك بالإسلام كفاية عما كانوا فيه وأما ماورد في الصحيحين عن عاصم الأحول عن أنس رضى الله عنه أنه قال : حالف رسول الله صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين والأنصار في دورنا . فعناه أنه آخى بينهم فكانوا يتوارثون به حتى نسخ الله ذلك والله أعلم . وقال ابن جرير حدثني محمد بن عمارة الأسدي حدثنا عبد الله بن موسى أخبرنا أبو ليلى عن بريدة في قوله ( وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ) قال نزلت في بيعة النبي ﷺ كان من أسلم بايع النبي صلى الله عليه وسلم على الإسلام فقال ( وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ) هذه البيعة التي بايعتم على الإسلام ( ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها ) لا يحملنكم قلة محمد وكثرة المشركين أن تنقضوا البيعة التي بايعتم على الإسلام وقال الإمام أحمد حدثنا إسماعيل حدثنا صخر ابن جويرية عن نافع قال لما خلع الناس يزيد بن معاوية جمع ابن عمر بنه وأهله ثم تشهد ثم قال : أما بعد فانا قد بايعنا هذ الرجل على بيعة الله ورسوله وإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول « إن الغادر ينصب له لواء يوم القيامة فيقال هذه غدره فلان ، وإن من أعظم الغدر - إلا أن يكون الاشرار بالله - أن يبايع رجل رجلا على بيعة الله ورسوله ثم ينكث ببيعته ، فلا يخلعن أحد منكم يدا ولا يسرفن أحد منكم في هذا الأمر فيكون فصل بيني وبينه » المرفوع منه في الصحيحين ، وقال الإمام أحمد حدثنا يزيد حدثنا حجاج عن عبد الرحمن بن عابس عن أبيه عن حذيفة قال سمعت رسول الله ﷺ يقول « من شرط لأخيه شرطا لا يريد أن يفى له به فهو كالمذلي جاره إلى غير منعة » وقوله ( إن الله يعلم ما تفعلون ) تهديد ووعيد لمن نقض الأيمان بعد توكيدها وقوله ( ولا تكونوا كالتى نقضت غزها من بعد قوة أنكاثا ) قال عبد الله بن كثير والسدى : هذه امرأة خرقاء كانت بمكة كلما غزلت شيئا نقضته بعد إبرامه وقال مجاهد وقتادة وابن زيد هذا مثل لمن نقض عهده بعد توكيده ، وهذا القول أرجح وأظهر سواء كان بمكة امرأة تنقض غزها أم لا . وقوله ( أنكاثا ) يحتمل أن يكون اسم مصدر ، نقضت غزها أنكاثا أى ألقاها ويحتمل أن يكون بدلا عن خبر كان أى لا تكونوا أنكاثا جمع نكث من ناكث ولهذا قال بعده ( تتخذون أيمانكم دخلا بينكم ) أى خديعة ومكرا ( أن تكون أمة هي أرى أمة ) أى تحلفون للناس إذا كانوا أكثر منكم ليطمئنوا إليكم فإذا أمكنكم الغدر بهم غدرتم فنهى الله عن ذلك لينبه بالأدنى على الأعلى إذا كان قد نهى عن الغدر والحالة هذه فلأن ينهى عنه مع التمكّن والتدرة بطريق الأولى . وقد قدمنا والله الحمد في سورة الأنفال قصة معاوية لما كان بينه وبين ملك الروم أمد فسار معاوية إليهم في آخر الأجل حتى إذا انقضى وهو قريب من بلادهم أغار عليهم وهم غارون لا يشعرون فقال له عمرو بن عبسة الله أكبر يا معاوية وفاء لا غدر سمعت رسول الله ﷺ يقول « من كان بينه وبين قوم أجل فلا يخلن عقدة حتى ينقض أمدها » فرجع معاوية رضى الله عنه بالجيش قال ابن عباس ( أن تكون أمة هي أرى من أمة ) أى أكثر وقال مجاهد كانوا يحالفون الحلفاء فيجدون أكثر منهم وأعز فينقضون حلف هؤلاء ويحالفون أولئك الذين هم أكثر وأعز فنهوا عن ذلك وقال الضحاك وقتادة وابن زيد نحوه وقوله ( إنما يلوكم الله به ) قال سعيد بن جبير يعنى بالكثرة رواه ابن أبي حاتم وقال ابن جرير أى بأمره إياكم بالوفاء بالعهد ( وليبين لكم يوم القيامة ما كنتم فيه تختلفون ) فيجازى كل عامل بعمله من خير وشر

﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَلَتُسْئَلُنَّ عَمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ وَلَا تَتَّخِذُوا أَيْمَانَكُمْ دَخْلًا بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمُ بَعْدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُوا السُّوءَ بِمَا صَدَدْتُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ \* وَلَا تَشْتَرُوا بِعَهْدِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا إِنَّمَا عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ \* مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿

يقول الله تعالى (ولو شاء الله لجمعكم) أيها الناس (أمة واحدة) كقوله تعالى (ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعاً) أي لوفق بينكم ولما جعل اختلافاً ولا تباعض ولا شجاءً (ولو شاء ربك لجمع الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم) وهكذا قال ههنا (ولكن يضل من يشاء ويهدي من يشاء) ثم يسألكم يوم القيامة عن جميع أعمالكم فيجازيكم عليها على الفتل والنقير والقطمير ، ثم حذر تعالى عباده عن اتخاذ الأيمان دخلاً أي خديعة ومكرّاً لئلا تزل قدم بعد ثبوتها مثل لمن كان على الاستقامة فحاد عنها وزل عن طريق الهدى بسبب الأيمان الحائثة المشتملة على الصد عن سبيل الله لأن الكافر إذا رأى أن المؤمن قد عاهده ثم غدر به لم يبق له وثوق بالدين فانصد بسببه عن الدخول في الإسلام ولهذا قال (وتدوقوا السوء بما صددتم عن سبيل الله ولكم عذاب عظيم) ثم قال تعالى (ولا تشتروا بعهدي مني شيئاً) أي لاتمتاضوا عن الأيمان بالله عرض الحياة الدنيا وزينتها فإنها قليلة ولو حيزت لابن آدم الدنيا بخدافيرها لكان ما عند الله هو خير له ، أي جزاء الله وثوابه خير لمن رجاه وآمن به وطلبه وحفظ عهده رجاه موعوده ولهذا قال (إن كنتم تعلمون \* ما عندكم ينفد) أي يفرغ وينتقض فإنه إلى أجل معدود محصور مقدر متناه (وما عند الله باق) أي وثوابه لكم في الجنة باق لا تقطع ولا تقاد له فإنه دائم لا يحول ولا يزول (ولنجزي الذين صبروا أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون) قسم من الرب تعالى مؤكداً باللام أنه يجازي الصابرين بأحسن أعمالهم أي ويتجاوز عن سيئها

﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنَّىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾

هذا وعد من الله تعالى لمن عمل صالحاً وهو العمل التابع لكتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ من ذكر أو أنى من بنى آدم وقلبه مؤمن بالله ورسوله وان هذا العمل المأمور به مشروع من عند الله بأن يحييه الله حياة طيبة في الدنيا وأن يجزيه بأحسن ما عمله في الدار الآخرة ، والحياة الطيبة تشمل وجوه الراحة من أي جهة كانت ، وقد روى عن ابن عباس وجماعة أنهم فسروها بالرزق الحلال الطيب ، وعن علي بن أبي طالب رضى الله عنه أنه فسرها بالقناعة ، وكذا قال ابن عباس وعكرمة ووهب بن منبه ، وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس أنها هي السعادة ، وقال الحسن ومجاهد وقادة لا يطيّب لأحد حياة إلا في الجنة ، وقال الضحاك هي الرزق الحلال والعبادة في الدنيا ، وقال الضحاك أيضاً هي العمل بالطاعة والانشراح بها ، والصحيح أن الحياة الطيبة تشمل هذا كله كإجاء في الحديث الذي رواه الإمام أحمد حدثنا عبدالله بن يزيد حدثنا سعيد بن أبي أيوب حدثني شرحبيل بن شريك عن أبي عبد الرحمن الحلبى عن عبدالله بن عمر أن رسول الله ﷺ قال « قد أفلح من أسلم ورزق كفافاً وقنع الله بما آتاه » ورواه مسلم من حديث عبدالله بن يزيد القرى به . وروى الترمذى والنسائى من حديث أبي هانىء عن أبي علي الجهمى عن فضالة بن عبيد أنه سمع رسول الله ﷺ يقول « قد أفلح من هدى للإسلام وكان عيشه كفافاً وقنع به » وقال الترمذى هذا حديث صحيح ، وقال الإمام أحمد حدثنا يزيد حدثنا همام عن يحيى عن قتادة عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ « إن الله لا يظلم المؤمن حسنة يعطى بها في الدنيا ويثاب عليها في الآخرة . وأما الكافر فيطعم بحسناته في الدنيا حتى إذا أنفض إلى الآخرة لم تكن له حسنة يعطى بها خيراً » انفراد بإخراجه مسلم

﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْءَانَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ \* إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطٰنٌ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ \* إِنَّمَا سُلْطٰنُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ ﴾

هذا أمر من الله تعالى لعباده على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم إذا أرادوا قراءة القرآن أن يستعينوا بالله من

الشیطان الرجیم وهذا أمر ندب ليس بواجب حکى الاجماع على ذلك أبو جعفر بن جریر وغيره من الأئمة ، وقد قدمنا الأحاديث الواردة في الاستعاذة مبسوطه في أول التفسیر ولله الحمد والمنة . والمعنى في الاستعاذة عند ابتداء القراءة ثلاثا يلبس على القارئ قراءته ويخلط عليه ويمنعه من التدبر والتفكر ولهذا ذهب الجمهور إلى أن الاستعاذة إنما تكون قبل التلاوة ، وحكى عن حمزة وأبي حاتم السجستاني أنها تكون بعد التلاوة واحتجا بهذه الآية ، ونقل النووى في شرح المهذب مثل ذلك عن أبي هريرة أيضاً ومحمد بن سيرين وإبراهيم النخعی ، والصحيح الأول لما تقدم من الأحاديث الدالة على تقدمها على التلاوة والله أعلم . وقوله ( إنه ليس له سلطان على الدين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون ) قال الثوري ليس له عليهم سلطان أن يوقعهم في ذنب لا يتوبون منه ، وقال آخرون معناه لاحجة له عليهم ، وقال آخرون كقوله ( لإعبادك منهم المخلصين ) ، ( إنما سلطانه على الذين يتلونه ) قال مجاهد يطيعونه ، وقال آخرون أخذوه ولياً من دون الله ( وهم به مشركون ) أى أشركوه في عبادة الله ، ويحتمل أن تكون الباء سببية أى صاروا بسبب طاعتهم للشیطان مشركين بالله تعالى ، وقال آخرون معناه أنه شركهم في الأموال والأولاد

﴿ وَإِذَا بَدَلْنَا آيَةً مَّكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ ﴿

يخبر تعالى عن ضعف عقول المشركين وقلة ثباتهم وإيقانهم وأنه لا يتصور منهم الإيمان وقد كتب عليهم الشقاوة وذلك أنهم إذا رأوا تغيير الأحكام ناسخها بمنسوخها قالوا لرسول الله ﷺ ( إنما أنت مفتر ) أى كذاب وإنما هو الرب تعالى يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد ، وقال مجاهد ( بدلنا آية مكان آية ) أى ورفعناها وأثبتنا غيرها ، وقال فمادة هو كقوله تعالى ( ما ننسخ من آية أو ننسها ) الآية فقال تعالى مجيباً لهم ( قل نزله روح القدس ) أى جبريل ( من ربك بالحق ) أى بالصدق والعدل ( ليثبت الذين آمنوا ) فيصدقوا بما أنزل أولاً وثانياً وتختبئ له قلوبهم ( وهدى وبشرى للمسلمين ) أى وجعله هادياً وبشارة للمسلمين الذين آمنوا بالله ورسوله

﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ ﴾

يقول تعالى مخبراً عن المشركين ما كانوا يقولونه من الكذب والافتراء والبهت ان محمداً إنما يعلمه هذا الذي يتلوه علينا من القرآن بشر ويشيرون إلى رجل أعجمي كان بين أظهرهم غلام لبعض بطون قريش وكان يباعاً يبيع عند الصفا وربما كان رسول الله ﷺ يجلس إليه ويكلمه بعض الشيء وذلك كان أعجمي اللسان لا يعرف العربية أو أنه كان يعرف الشيء اليسير بقدر ما يرد جواب الخطاب فيما لا بد منه فهذا قال الله تعالى راداً عليهم في افتراءهم ذلك ( لسان الذي يلحدون إليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين ) أى القرآن أى فكيف يتعلم من جاء بهذا القرآن في فصاحته وبلاغته ومعانيه التامة الشاملة التي هي أكمل من معاني كل كتاب نزل على بنى إسرائيل كيف يتعلم من رجل أعجمي ؟ لا يقول هذا من له أدنى مسكة من العقل قال محمد بن إسحاق بن يسار في السيرة : كان رسول الله ﷺ فيما بلغني كثيراً ما يجلس عند المروة إلى سبعة غلام نصراني يقال له جبر عبد لبعض بنى الحضرمي فأنزل الله ( ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر ، لسان الذي يلحدون إليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين ) وكذا قال عبد الله بن كثير ، وعن عكرمة وقيادة كان اسمه يعيش . وقال ابن جرير حدثني أحمد بن محمد الطوسي حدثنا أبو عامر حدثنا إبراهيم بن طهمان عن مسلم بن عبد الله الملائي عن مجاهد عن ابن عباس قال كان رسول الله ﷺ يعلم قينا بمكة وكان اسمه بلعام وكان أعجمي اللسان وكان المشركون يرون رسول الله ﷺ يدخل عليه ويخرج من عنده فقالوا إنما يعلمه بلعام فأنزل الله هذه الآية ( ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر ، لسان الذي يلحدون إليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين ) وقال الضحاك بن مزاحم هو سلمان الفارسي وهذا القول ضعيف لأن هذه الآية مكية وسلمان إنما أسلم بالمدينة ،

وقال عبيد الله بن مسلم كان لنا غلامان روميان يقرآن كتابا لهما بلسانهما فكان النبي ﷺ يمر بهما فيقوم فيسمع منهما فقال المشركون يتعلم منهما فأنزله الله هذه الآية ، وقال الزهري عن سعيد بن المسيب : الذي قال ذلك من المشركين رجل كان يكتب الوحي لرسول الله ﷺ فارتد بعد ذلك عن الإسلام وافتري هذه المقالة قبجه الله

﴿ إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ \* إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴾

يخبر تعالى أنه لا يهدي من أعرض عن ذكره وتغافل عما أنزله على رسوله صلى الله عليه وسلم ولم يكن له قصد إلى الإيمان بما جاء من عند الله فهذا الجنس من الناس لا يهديهم الله إلى الإيمان بآياته وما أرسل به رسوله في الدنيا ولهم عذاب أليم موجه في الآخرة ، ثم أخبر تعالى أن رسوله صلى الله عليه وسلم ليس بمفتري ولا كذاب لأنه إنما يفتري الكذب على الله وعلى رسوله صلى الله عليه وسلم شرار الخلق ( الذين لا يؤمنون بآيات الله ) من الكفرة والملحدين المعروفين بالكذب عند الناس ، والرسول محمد ﷺ كان أصدق الناس وأبرهم وأكملهم علماً وعملاً وإيماناً وإيقاناً ، معروفاً بالصدق في قومه لا يشك في ذلك أحد منهم بحيث لا يدعى بينهم إلا بالأمين محمد ، ولهذا لما سأل هرقل ملك الروم أبا سفيان عن تلك المسائل التي سألتها من صفة رسول الله ﷺ كان فيما قال له : هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال ؟ قال لا ، فقال هرقل : فما كان ليدع الكذب على الناس ويذهب فيكذب على الله عز وجل

﴿ مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَكَانَ مِنَ الشَّاكِكِينَ مَنِ الشَّاكِكِينَ صَدْرًا وَقَلْبُهُمْ مَمْلُوءٌ مِنْ أَكْرَهٍ وَأَكْرَهٍ \* وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ \* وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ \* أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمِعَتْ لَهُمْ آصْفًا \* أُولَئِكَ هُمُ الْفٰقِلُونَ \* لَاجِرَمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْخٰسِرُونَ ﴾

أخبر تعالى عن كقربه بعد الإيمان والتبصر وشرح صدره بالكفر واطمأن به أنه قد غضب عليه لعلمهم بالإيمان ثم عدولهم عنه وأن لهم عذاباً عظيماً في الدار الآخرة لأنهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة فأقدموا على ما أقدموا عليه من الردة لأجل الدنيا ولم يهد الله قلوبهم وشبتهم على الدين الحق فطبع على قلوبهم فهم لا يعقلون بها شيئاً ينفعهم وختم على سمعهم وأبصارهم فلا ينتفعون بها ولا أغنت عنهم شيئاً فهم غافلون عما يراد بهم ( لاجرم ) أي لا بد ولا عجب أن من هذه صفته ( أنهم في الآخرة هم الخاسرون ) أي الذين خسروا أنفسهم وأهلهم يوم القيامة - وأما قوله ( إلا من أكرهه وقلبه مطمئن بالإيمان ) فهو استثناء ممن كفر بلسانه ووافق المشركين بلفظه مكرهاً لما ناله من ضرب وأذى وقلبه يأبى ما يقول وهو مطمئن بالإيمان بالله ورسوله . وقد روى العوفي عن ابن عباس أن هذه الآية نزلت في عمار بن ياسر حين عذبه المشركون حتى يكفر بمحمد ﷺ فوافقهم على ذلك مكرهاً وجاء معتذراً إلى النبي ﷺ فأنزله الله هذه الآية . وهكذا قال الشعبي وقتادة وأبو مالك . وقال ابن جرير حدثنا ابن عبد الأعلى حدثنا محمد بن ثور عن معمر عن عبد الكريم الجزري عن أبي عبيدة محمد بن عمار بن ياسر قال : أخذ المشركون عمار بن ياسر فعذبوه حتى قاربهم في بعض ما أرادوا فشكا ذلك إلى النبي ﷺ فقال النبي صلى الله عليه وسلم « كيف تجد قلبك ؟ » قال مطمئناً بالإيمان قال النبي ﷺ « إن عادوا فعد » ورواه البيهقي بأبسط من ذلك وفيه أنه سب النبي صلى الله عليه وسلم وذكر آلهتهم بخير فشكا ذلك إلى النبي صلى الله عليه وسلم

فقال يا رسول الله ما تركت حتى سببتك وذكرت آلهتهم بخير قال « كيف تجد قلبك ؟ » قال مطمئناً بالإيمان فقال « إن عادوا فعد » وفي ذلك أنزل الله ( إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان ) ولهذا اتفق العلماء على أن المكروه على الكفر يجوز له أن يوالى إبقاء لمهجته ويجوز له أن يأبى كما كان بلال رضى الله عنه يأبى عليهم ذلك وهم يفعلون به الأفاعيل حتى إنهم ليضعوا الصخرة العظيمة على صدره في شدة الحر ويأمرونه بالشرك بالله فيأبى عليهم وهو يقول : أحد، أحد . ويقول : والله لو أعلم كلمة هي أغيب لكم منها لقلها . رضى الله عنه وأرضاه . وكذلك حبيب بن زيد الأنصاري لما قال له مسيئة الكذاب : أتشهد أن محمداً رسول الله ؟ فيقول نعم ، فيقول أتشهد أنى رسول الله ؟ فيقول لا أسمع . فلم يزل يقطعه إرباً إرباً وهو ثابت على ذلك . وقال الإمام أحمد حدثنا إسماعيل حدثنا أيوب عن عكرمة أن علياً رضى الله عنه حرق ناساً ارتدوا عن الإسلام فبلغ ذلك ابن عباس فقال لم أكن لأحرقهم بالنار ، إن رسول الله ﷺ قال « لا تعذبوا بعذاب الله » وكنت قاتلهم بقول رسول الله ﷺ « من بدل دينه فاقتلوه » فبلغ ذلك علياً فقال ويح أم ابن عباس : رواه البخارى

وقال الإمام أحمد أيضاً حدثنا عبد الرزاق أنبأنا معمر عن أيوب عن حميد بن هلال العدوى عن أبي بردة قال : قدم على أبي موسى معاذ بن جبل باليمن فإذا رجل عنده قال ماهذا ؟ قال رحل كان يهودياً فأسلم ثم تهود ونحن نريده على الإسلام منذ قال أحسبه شهرين فقال والله لا أقعد حتى تضربوا عنقه فضربت عنقه فقال قضى الله ورسوله أن من رجع عن دينه فاقتلوه أو قال « من بدل دينه فاقتلوه » وهذه القصة في الصحيحين بلفظ آخر . والأفضل والأولى أن يثبت المسلم على دينه ولو أفضى إلى قلبه كما ذكر الحافظ بن عساكر في ترجمة عبد الله بن حذافة السهمي أحد الصحابة أنه أسرته الروم فجاءوا به إلى ملكهم فقال له تنصروا وأنا أشركك في ملكي وأزوجه ابنتي ، فقال له لو أعطيتني جميع ما تملك وجميع ما تملكه العرب على أن أرجع عن دين محمد صلى الله عليه وسلم طرفة عين ما فعلت فقال إذا أقتلتك فقال أنت ، وذلك ، قال فأمر به فصلب وأمر الرماة فرموه قريبا من يديه ورجليه وهو يعرض عليه دين النصرانية فيأبى ثم أمر به فأنزل ، ثم أمر بقدر وفي رواية ببقرة من نحاس فأحبت وجاء بأسير من المسلمين فألقاه وهو ينظر فإذا هو عظام تلوح وعرض عليه فأبى فأمر به أن يلقى فيها فرفع في البكرة ليلقى فيها فسكى فطمع فيه ودعاه فقال إني إنما بكيت لأن نفسى إنما هي نفس واحدة تلقى في هذه القدر الساعة في الله فأحبت أن يكون لى بعدد كل شعرة في جسدى نفس تعذب هذا العذاب في الله . وفي بعض الروايات أنه سجنه ومنع منه الطعام والشراب أيما ثم أرسل إليه بحمر ولحم خنزير فلم يقربه ثم استدعاه فقال ما منعك أن تأكل ؟ فقال أما إنه قد حل لى ولكن لم أكن لأشمتك بى ، فقال له الملك فقبل رأسى وأنا أطلقك فقال وتطلق معى جميع أسارى المسلمين قال نعم فقبل رأسه فأطلقه وأطلق معه جميع أسارى المسلمين عنده ، فلما رجع قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه حق على كل مسلم أن يقبل رأس عبد الله بن حذافة وأنا أبدأ فقام فقبل رأسه رضى الله عنهما

﴿ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ \* يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا وَتُوْفَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾

هؤلاء صنف آخر كانوا مستضعفين بمكة مهانين في قومهم فوافقهم على الفتنة ثم إنهم أمكنهم الخلاص بالهجرة فتركوا بلادهم وأهلهم وأموالهم ابتغاء رضوان الله وغفرانه وانتظموا في سلك المؤمنين وجاهدوا معهم الكافرين وصبروا فأخبر تعالى أنه من بعدها أى تلك الفعلة وهي الإجابة إلى الفتنة لغفور لهم رحيم بهم يوم معادهم (يوم تأتى كل نفس تجادل) أى تجاح (عن نفسها) ليس أحد يحاج عنها لا أب ولا ابن ولا أخ ولا زوجة (وتوفى كل نفس ما عملت) أى من خير وشر (وهم لا يظلمون) أى لا ينقص من ثواب الخير ولا يرد على ثواب الشر ولا يظلمون تقيرا

﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقًا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا

اللَّهُ لِبَاسِ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ \* وَاقْتَدَ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُنْهَمٌ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ وَهُمْ ظَالِمُونَ ﴿١٠٠﴾

هذا مثل أريد به أهل مكة فإنها كانت آمنة مطمئنة مستقرة يتخطف الناس من حولها ومن دخلها كان آمناً لا يخاف كما قال تعالى ( وقالوا إن تتبع الهدى معك تتخطف من أرضنا أولم نمكن لهم حرماً آمناً يجي إليه ثمرات كل شيء رزقاً من لدنا ) وهكذا قال ههنا ( يأتيها رزقها رغداً ) أي هنيئاً سهلاً ( من كل مكان فكفرت بأنعم الله ) أي جحدت آلاء الله عليها وأعظمها بعثة محمد ﷺ اليهم كما قال تعالى ( ألم تر إلى الذين بدلوا نعمة الله كفراً وأحلوا قومهم دار البوار جهنم يصلونها وبئس القرار ) ولهذا بدلهم الله بحاليم الأولين خلافهما فقال ( فأذاقها الله لباس الجوع والخوف ) أي ألبسها وأذاقها الجوع بعد أن كان يجي اليهم ثمرات كل شيء ويأتيها رزقها رغداً من كل مكان وذلك أنهم استعصوا على رسول الله ﷺ وأبوا إلا خلافه فدعا عليهم بسبع كسبع يوسف فأصابهم سنة أذهبت كل شيء لهم فأكلوا العلهز وهو وبر البعير يخلط بدمه إذا نحروه وقوله ( والخوف ) وذلك أنهم بدلوا بأمنهم خوفاً من رسول الله ﷺ وأصحابه حين هاجروا إلى المدينة من سطوته وسراياه وجيوشه وجعل كل ما لهم في دمار وسفال حتى فتحها الله على رسوله ﷺ وذلك بسبب صنيعهم وبغيهم وتكذيبهم الرسول ﷺ الذي بعثه الله فيهم منهم وامتن به عليهم في قوله ( لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم ) الآية . وقوله تعالى ( فاتقوا الله يا أولى الأبواب \* الذين آمنوا قد أنزل الله إليكم ذكراً رسولا ) الآية وقوله ( كما أرسلنا فيكم رسولا منكم يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة - إلى قوله - ولا تكفرون ) وكما أنه انعكس على الكافرين حالهم فخافوا بعد الأمن وجاعوا بعد الرغد فبدل الله المؤمنين من بعد خوفهم أمناً ورزقهم بعد العيلة وجعلهم أمراء الناس وحكامهم وسادتهم وقادتهم وأتمتهم وهذا الذي قلناه من أن هذا المثل ضرب لأهل مكة قاله العوفي عن ابن عباس واليه ذهب مجاهد وقتادة وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وحكاه مالك عن الزهري رحمهم الله وقال ابن جرير حدثني ابن عبد الرحيم البرقي حدثنا ابن أبي مريم حدثنا نافع بن يزيد حدثنا عبد الرحمن بن شريح أن عبد الكريم بن الحارث الحضرمي حدثه أنه سمع مشرح بن هاعان يقول سمعت سليم بن عمير يقول صدرنا من الحج مع حفصة زوج النبي ﷺ وعثمان رضي الله عنه محصور بالمدينة فكانت تسأل عنه ما فعل ؟ حتى رأت راكبين فأرسلت إليهما تسألهما فقالا قتل . فقالت حفصة والذي نفسي بيده إنها القرية - تعني المدينة - التي قال الله تعالى ( وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغداً من كل مكان فكفرت بأنعم الله ) قال ابن شريح وأخبرني عبيد الله بن المغيرة عن حدثه أنه كان يقول إنها المدينة

﴿ فَكَلْبُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَلًا طَيِّبًا وَاشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ \* إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ \* وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَلٌ وَهَذَا حَرَامٌ لَتَمَتُّوْا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ \* مَتَّعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾

يقول تعالى آمراً عباده المؤمنين بأكل رزقه الحلال الطيب وبشكره على ذلك فإنه النعم التفضل به ابتداء الذي يستحق العبادة وحده لاشريك له ثم ذكر تعالى ما حرمه عليهم مما فيه مضرة لهم في دينهم ودنياهم من الميتة والدم ولحم الخنزير ( وما أهل لغير الله به ) أي ذبح على غير اسم الله ومع هذا ( فمن اضطر إليه ) أي احتاج من غير بغي ولا عدوان ( فإن الله غفور رحيم ) . وقد تقدم الكلام على مثل هذه الآية في سورة البقرة بما فيه كفاية عن إعادته والله الحمد ، ثم نهى

تعالى عن سلوك سبيل المشركين الذين حللوا وحرّموا بمجرد ما وصفوه واصطلحوا عليه من الأسماء بأرائهم من البحيرة والسائبة والوصيلة والحام وغير ذلك مما كان شرعاً لهم ابتدعوه في جاهليتهم فقال (ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب) ويدخل في هذا كل من ابتدع بدعة ليس له فيها مستند شرعى أو حلل شيئاً مما حرم الله أو حرم شيئاً مما أباح الله بمجرد رأيه وتشهيه ، وما في قوله (لما تصف) مصدرية أى ولا تقولوا الكذب لوصف ألسنتكم ، ثم توعد على ذلك فقال (إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون) أى في الدنيا ولا في الآخرة ، أما في الدنيا فمتاع قليل وأما في الآخرة فلهم عذاب أليم كما قال (نمتعهم قليلاً ثم نضطرهم إلى عذاب غليظ) وقال (إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون ، متاع في الدنيا ثم إلينا مرجعهم ثم نذيقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون)

﴿ وَكَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَمَا ظَنَّمْنَاهُمْ وَلاَ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظُنُّونَ \* ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمَلُوا السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾

لما ذكر تعالى أنه إنما حرم علينا الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به وإنما أُرخص فيه عند الضرورة - وفي ذلك توسعة لهذه الأمة التي يريد الله بها اليسرى ولا يريد بها العسرى - ذكر سبحانه وتعالى ما كان حرمه على اليهود في شريعتهم قبل أن ينسخها وما كانوا فيه من الآصار والتضييق والأغلال والخرج فقال (وعلى الذين هادوا حرمنا ما قصصنا عليك من قبل) أى في سورة الأنعام في قوله (وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذى ظفر ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما إلا ما حامت ظهورها - إلى قوله - لصادقون) ولهذا قال ههنا (وما ظلمناهم) أى بما ضيقنا عليهم (ولكن كانوا أنفسهم بظلمون) أى فاستحقوا ذلك كقولهم (فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم وبصدم عن سبيل الله كثيراً) ثم أخبر تعالى تكريماً وامتناناً في حق العصاة المؤمنين أن من تاب منهم إليه تاب عليه فقال (ثم إن ربك للذين عملوا السوء بجهالة) قال بعض السلف كل من عصى الله فهو جاهل (ثم تابوا من بعد ذلك وأصلحوا) أى أقلعوا عما كانوا فيه من المعاصى وأقبلوا على فعل الطاعات (إن ربك من بعدها) أى تلك الفعلة والزلة (لغفور رحيم)

﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلاَ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ \* شَاكِرًا لِّأَنْعَمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ \* وَآتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّا فِي الآخِرَةِ لِنَبْتَلِيهِ الْفَالِحِينَ \* ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾

يمدح تعالى عبده ورسوله وخليته إبراهيم إمام الحنفاء ووالد الأنبياء ويبرئه من المشركين ومن اليهودية والنصرانية فقال (إن إبراهيم كان أمة قانتاً لله حنيفاً) فأما الأمة فهو الإمام الذي يقتدى به ، والقانت: هو الخاشع المطيع ، والحنيف المدحرف قصداً عن الشرك إلى التوحيد ولهذا قال (ولم يك من المشركين) قال سفيان الثوري عن سلمة بن كهيل عن مسلم البطين عن أبي العبيدين أنه سأل عبد الله بن مسعود عن الأمة القانت فقال الأمة معلم الخير والقانت المطيع لله ورسوله ، وعن مالك قال : قال ابن عمر : الأمة الذي يعلم الناس دينهم ، وقال الأعمش عن يحيى بن الجزار عن أبي العبيدين أنه جاء إلى عبد الله فقال من نسأل إذا لم نسألك ؟ فكأن ابن مسعود رق له فقال أخبرني عن الأمة ، فقال الذي يعلم الناس الخير ، وقال الشعبي حدثني فروة بن نوفل الأشجعي قال : قال ابن مسعود إن معاذاً كان أمة قانتاً لله حنيفاً ، فقلت في نفسي غلط أبو عبد الرحمن وقال إما قال الله (إن إبراهيم كان أمة) فقال تدرى ما الأمة وما القانت ؟ قلت الله أعلم فقال الأمة الذي يعلم الخير ، والقانت المطيع لله ورسوله ، وكذلك كان ساد ، وقد روى من غير وجه عن ابن

مسعود، أخرجه ابن جرير ، وقال مجاهد أمة أى أمة وحده والقانت المطيع وقال مجاهد أيضا كان إبراهيم أمة أى مؤمنا وحده والناس كلهم إذ ذاك كفار وقال قتادة كان إمام هدى والقانت المطيع لله ، وقوله ( شاكرا لأنعمه ) أى قائمًا بشكر نعم الله عليه كقوله تعالى ( وإبراهيم الذى وفى ) أى قائم بجميع ما أمره الله تعالى به وقوله ( اجتباه ) أى اختاره واصطفاه كقوله ( ولقد آتينا إبراهيم رشده من قبل وكنا به عاينين ) ثم قال ( وهداه إلى صراط مستقيم ) وهو عبادة الله وحده لا شريك له على شرع مرضى ، وقوله ( وآتيناه فى الدنيا حسنة ) أى جمعنا له خير الدنيا من جميع ما يحتاج المؤمن إليه فى إكمال حياته الطيبة ( وإنه فى الآخرة لمن الصالحين ) وقال مجاهد فى قوله ( وآتيناه فى الدنيا حسنة ) أى لسان صدق ، وقوله ( ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم حنيفا ) أى ومن كماله وعظمته وصحة توحيده ، وطريقه أنها أوحينا إليك يا خانم الرسل وسيد الأنبياء ( أن اتبع ملة إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين ) كقوله فى الأنعام ( قل إننى هدانى ربى إلى صراط مستقيم \* دينا قبا ملة إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين ) ثم قال تعالى منكر على اليهود

﴿ إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾

لا شك أن الله تعالى شرع فى كل ملة يوما من الأسبوع مجتمع الناس فيه للعبادة فشرع تعالى لهذه الأمة يوم الجمعة لأنه اليوم السادس الذى أكمل الله فيه الخليفة واجتمعت فيه وتمت النعمة على عباده ، ويقال إن الله تعالى شرع ذلك لبنى إسرائيل على لسان موسى فمدلوا عنه واختاروا السبت لأنه اليوم الذى لم يخلق فيه الرب شيئا من المخلوقات الذى كمل خلقها يوم الجمعة فأثرتهم تعالى به فى شريعة التوراة ووصاهم أن يتمسكوا به وأن يحافظوا عليه مع أمره بإيهاهم بتابعة محمد ﷺ إذا بعثه وأخذ موافقهم وعبودهم على ذلك ولهذا قال تعالى ( إنما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه ) قال مجاهد اتبعوه وتركوا الجمعة ثم إنهم لم يزالوا متمسكين به حتى بعث الله عيسى بن مريم فيقال إنه حولهم إلى يوم الأحد ويقال إنه لم يترك شريعة التوراة إلا ما نسخ من بعض أحكامها وإنه لم يزل محافظا على السبت حتى رفع وإن النصرى بعده فى زمن قسطنطين هم الذين تحولوا إلى يوم الأحد مخالفة لليهود وتحولوا إلى الصلاة شرقا عن الصخرة والله أعلم

وقد ثبت فى الصحيحين من حديث عبد الرزاق عن معمر بن همام عن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « نحن الآخرون السابقون يوم القيامة يبدأهم أتوا الكتاب من قبلنا ثم هذا يومهم الذى فرض الله عليهم فاختلفوا فيه فهدانا الله له فالناس لنا فيه تبع اليهود غدا والنصارى بعد غد » لفظ البخارى . وعن أبي هريرة وحذيفة رضى الله عنهما قالا : قال رسول الله ﷺ « أصل الله عن الجمعة من كان قبلنا فكان لليهود يوم السبت وكان للنصارى يوم الأحد فجاء الله بنا فهدانا الله ليوم الجمعة فجعل الجمعة والسبت والأحد وكذلك هم تبع لنا يوم القيامة نحن الآخرون من أهل الدنيا والأولون يوم القيامة والقضى بينهم قبل الخلاق » رواه مسلم

﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ

ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾

يقول تعالى أمر رسول الله محمد ﷺ أن يدعو الخلق إلى الله بالحكمة . قال ابن جرير : وهو ما أنزله عليه من الكتاب والسنة والموعظة الحسنة أى بما فيه من الزواجر والوقائع بالاس ذكرهم بها ليحذروا بأس الله تعالى ، وقوله ( وجدلهم بالتي هى أحسن ) أى من احتاج منهم إلى مناظرة وجدال فليكن بالوجه الحسن برفق ولين وحسن خطاب كقوله تعالى ( ولا محادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هى أحسن إلا الذين ظلموا منهم ) الآية ، فأمره تعالى بلين الجانب كما أمر به موسى وهارون عليهما السلام حين بعثهما إلى فرعون فى قوله ( فقولا له قولنا لينا لعله يتذكر أو يخشى ) وقوله ( إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله ) الآية أى قد علم الشقى منهم والسعيد وكتب ذلك عنده وفرغ منه فادعهم إلى الله ولا تذهب نفسك على من ضل منهم حسرات فاه ليس عليك هدام إنما أنت نذير عليك البلاغ وعلينا الحساب

(إني لا تهدي من أحببت) ، (ليس عليك هدام ولكن الله يهدي من يشاء) .

﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوِّقْتُمْ بِهِ وَإِنْ صَبَرْتُمْ لَهُمْ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ \* وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ \* إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ﴾

يأمر تعالى بالعدل في القصاص والمائلة في استيفاء الحق كما قال عبد الرزاق عن الثوري عن خالد بن سيرين أنه قال في قوله تعالى ( فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ) إن أخذ منكم رجل شيئاً فخذوا مثله وكذا قال مجاهد وإبراهيم والحسن البصري وغيرهم واختاره ابن جرير ، وقال ابن زيد كانوا قد أمروا بالصفح عن المشركين . فأسلم رجال ذوو منعة فقالوا يا رسول الله لو أذن الله لنا لاتصرتنا من هؤلاء الكلاب فنزلت هذه الآية ثم نسخ ذلك بالجهاد

وقال محمد بن إسحق عن بعض أصحابه عن عطاء بن يسار قال نزلت سورة النحل كلها بمكة إلا ثلاث آيات من آخرها نزلت بالمدينة بعد أحد حين قتل حمزة رضي الله عنه ومثل به فقال رسول الله ﷺ « لئن أظهرني الله عليهم لأمثلن بثلاثين رجلاً منهم » فلما سمع المسلمون ذلك قالوا والله لئن ظهرنا عليهم لنمثلن بهم مثلة لم يمثله أحد من العرب بأحد قط فأنزل الله ( وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ) إلى آخر السورة ، وهذا مرسل وفيه رجل مبهمة لم يسم ، وقد روى هذا من وجه آخر متصل فقال الحافظ أبو بكر البراد حدثنا الحسن بن يحيى حدثنا عمرو بن عاصم حدثنا صالح المري عن سليمان التيمي عن أبي عثمان عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ وقف على حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه حين استشهد فنظر إلى منظر لم ينظر إلى منظر أوجع للقلب منه أو قال لقلبه فظفر إليه وقد مثل به فقال « رحمة الله عليك إن كنت ما علمتك إلا وصولاً للرحم فعولاً للخيرات والله لولا حزن من بعدك عليك لسرتني أن أتركك حتى يحسرك الله من بطون السباع - أو كلمة نحوها - أما والله على ذلك لأمثلن بسبعين كمثلتك » فنزل جبريل عليه السلام على محمد ﷺ بهذه السورة وقرأ ( وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ) إلى آخر الآية ، فكفر رسول الله ﷺ يعني عن يمينه وأمسك عن ذلك ، وهذا إسناد فيه ضعف لأن صالحاً هو ابن بشير المري ضعيف عند الأئمة ، وقال البخاري هو منكر الحديث وقال الشعبي وابن جريج نزلت في قول المسلمين يوم أحد فيمن مثل بهم لمثلن بهم فأنزل الله فيهم ذلك ، وقال عبد الله بن الإمام أحمد في مسند أبيه حدثنا هدية بن عبد الوهاب الروزي حدثنا الفضل بن موسى حدثنا عيسى بن عبيد عن الربيع بن أنس عن أبي العالية عن أبي بن كعب قال : لما كان يوم أحد قتل من الأنصار ستون رجلاً ومن المهاجرين ستة فقال أصحاب رسول الله ﷺ لئن كان لنا يوم مثل هذا من المشركين لمثلن بهم فلما كان يوم الفتح قال رجل لا تعرف قريش بعد اليوم ، فنادى مناد : إن رسول الله ﷺ قد أمن الأسود والأبيض إلا فلانا وفلانا - ناساً سماهم - فأنزل الله تبارك وتعالى ( وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ) إلى آخر السورة فقال رسول الله ﷺ « نصبر ولا نقاب » وهذه الآية الكريمة لها أمثال في القرآن فانها مشتملة على مشروعية العدل والندب إلى الفضل كما في قوله ( وجزاء سيئة سيئة مثلها ) ثم قال ( فمن عفا وأصلح فأجره على الله ) الآية . وقال ( والجروح قصاص ) ثم قال ( فمن تصدق به فهو كفارة له ) وقال في هذه الآية ( وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ) ثم قال ( ولئن صبرتم لهو خير للصابرين ) وقوله تعالى ( واصبر وما صبرك إلا بالله ) تأكيدي للأمر بالصبر وإخبار بأن ذلك لا يبال إلا بمشيئة الله وإعاقته ، وحوله وقوته ، ثم قال تعالى ( ولا تحزن عليهم ) أي على من خالفك فإن الله قدر ذلك ( ولا تك في ضيق ) أي غم ( مما يَمْكُرُونَ ) أي مما يجهدون أنفسهم في عداوتك وإيصال الشر إليك فإن الله كافيك وناصرك ومؤيدك ومظهرك ومظفرك بهم ، وقوله ( إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون ) أي معهم بتأييده ونصره ومعونته وهديه وسعيه وهذه معية خاصة كقوله ( إذوحى ربك إلى الملائكة أني معكم فثبتوا الذين آمنوا ) وقوله لموسى وهرون ( لا تخافا إني معكما أسمع وأرى ) وقول النبي ﷺ للصديق وهما في الغار « لا يحزن إن الله معنا » وأما المعية العامة فبالسمع والبصر والعلم كقوله

تعالى (وهو معكم أينما كنتم والله بما تعملون بصير) وكقوله تعالى (ألم تر أن الله يعلم ما في السموات وما في الأرض ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أينما كانوا) وكما قال تعالى (وماتكون في شأن و ماتتوا منه من قرآن ولا تعملون من عمل إلا كنا عليكم شهوداً) الآية ومعنى (الدين اتقوا) أى تركوا المحرمات (والدين هم محسنون) أى فعلوا الطاعات ، فهؤلاء الله يحفظهم ويكفؤهم وينصرهم ويؤيدهم ويظفرهم على أعدائهم ومخالفهم ، وقال ابن أبي حاتم ثنا أبو ثعلبة بن محمد بن بشر ثنا أبو أحمد الزبير ثنامسعر عن ابن عون عن محمد بن حاطب قال كان عثمان رضى الله من الدين اتقوا والدين هم محسنون . آخر تفسير سورة النحل والله الحمد والمنة وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً .

بعون الله تعالى قد تم طبع الجزء الثانى من تفسير الإمام الحافظ ابن كثير

ويليه الجزء الثالث إن شاء الله

وأوله تفسير سورة الإسراء والحمد لله

أولاً وآخرأ